ذلك عن الامام أحمد ، فأنكر عليهم صاحب الامام أحمد ، وأخص الناس به ، أبو بكر المروذي ذلك ، وصنف كتاباً مشهوراً ذكره الخلال في « السنة » ثم نصر هذا القول أبو عبد الله بن حامد ، وأبو نصر السجزي ، وغيرهما ، ثم نصرهما بعده القاضي أبو يعلى وغيره ، ثم ابن الزاغوني ، وهو خطأ على أحمد ، فقابل هؤلاء الفريق الثاني .وقالوا : إن نفس هذه الألفاظ مخلوقة ، لم يتكلم الله بها ، ولم تسمع منه ، وإنما كلامه هو المعنى القائم بنفسه وقالوا : هذا قول أحمد ، والبخاري . وأئمة السنة براء من هذين القولين ، والثابت المتواتر عن الامام أحمد ، هو مانقله عنه خواص أصحابه وثقاتهم كابنيه : صالح ، وعبد الله ، والمروذي ، وغيرهم ، الانكار على الطائفتين جميعاً ، كما ذكره البخاري ؛ فأحمد والبخاري على خلاف قول الفريقين ، وكان يقول : من قال: لفظي بالقرآن مخلوق ، فهو جهمي ، ومن قال : غير مخلوق ، فهو مبتدع ، وإن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ، هو كلام الله على الحقيقة ، وحيث تعرف كلام الله ، فهو غير مخلوق . وكان يقول بخلق أفعال العباد وأصواتهم ، وأن الصوت المسموع من القارىء هو صوته وهو مخلوق ، ويقول في قول النبي ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »[1] معناه : يحسنه بصوته ، كما قال : « زينوا القرآن بأصواتكم »[2] انتهى كلام الناظم .

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن ابي هريرة في كتاب التوحيد : باب قوله تعالى (وأسروا قولكم او اجهروا به) وأرواه حمد وابو داود ، .

(٢) رواه البخاري تعليقاً وابو داود ، والدرامي ، والحاكم وهو حديث صحيح .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعاً للمسلمين بافك ذي بهتان
فرآه فيضا فاض من عقل هو الـ ـفعال علة هذه الأكوان
حتى تلقاه زكي فاضل حسن التخيل جيد التبيان
فأتى به للعالمين خطابة ومواعظاً عريت عن البرهان
ما صرحت أخباره بالحق بل رمزت اليه إشارة لمعان
وخطاب هذا الحق والجمهور بالـ ـحق الصريح فغير ذي إمكان
لا يقبلون حقائق المعقول الا في مثال الحس والاعيان
ومشارب العقلاء لا يردونها الا اذا وضعت لهم بأوان
من جنس ما ألفت طباعهم من المحسوس في ذا العالم الجثمان
فأتوا بتشبيه وتمثيل وتجسيم وتخييل الى الاذهان
ولذاك يحرم عندهم تأويله لكنه حل لذي العرفان
فاذا تأولناه كان جناية منا وخرق سياج ذا البستان

لكن حقيقة قولهم نأقد أتوا بالكذب عند[1] مصالح الانسان
والفيلسوف وذا الرسول لديهم متفاوتان وما هما عدلان
أما الرسول ففيلسوف عوامهم والفيلسوف نبي ذي البرهان
والحق عندهم ففيما قاله أتباع صاحب منطق اليونان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى كلام المتفلسفة في كلام الله تعالى ، كابن سينا وأتباعه ، ومن وافقهم من متصوف ومتكلم ، فان كلام الله عندهم ليس له وجود خارج عن نفوس العباد ، بل هو ما يفيض على النفوس من المعاني إعلاماً أو طلباً ، إما من العقل الفعال ، كما يقوله كثير من المتفلسفة ، واما مطلقاً ، كما يقوله بعض متصوفة الفلاسفة أفاده شيخ الاسلام ، وقال في كلامه على حديث النزول[2] بعد كلام سبق : ثم لما أرادوا تقرير النبوة ، جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال ، أو غيره ، من غير أن يكون رب العالمين يعلم له رسولاً معيناً ، ولا يميز بين موسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال . وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ ، وزعموا أن ما جاء به الرسول ﷺ ، إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون به ، من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق ، وعلمت الناس ما الأمر عليه ، ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس ، وهل كانوا جهلاء ؟ على

---

(١) في الاصل : فيه .

(٢) وقد قام المكتب الاسلامي بطبعه بعنوان : « شرح حديث النزول لشيخ الاسلام ابن تيميه .

قولين لهم ، الى غير ذلك من أنواع الالحاد ، والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،

وقد بين في غير هذا الموضع أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل ، وان تظاهروا بالاسلام ، فانهم يظهرون من مخالفة الاسلام أعظم مما كان يظهره المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . وقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ . قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأنهم كانوا يسرون نفاقهم وهم اليوم يعلنونه ، ولم يكن على عهد حذيفة من وصل الى هذا النفاق ، ولا إلى قريب منه . انتهى .

قوله : خطابة : بفتح الخاء : ماركب من مقدمات مقبولة ، أو من مقدمات مظنونة ، وسميت بذلك ، لأن القصد منها ترغيب المخاطب فيما يفعله الخطباء، كذا ذكر المنطقيون .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومضى على هدي المقالة أمة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه ... الناصرين لملة الشيطان

فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء كل موحد رباني

واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء رسل الله والقرآن

صوفيهم عبد الوجود المطلق ... المعدوم عند العقل في الاعيان

أو ملحد بالاتحاد يدين لا ... التوحيد منسلخ من الاديان

معبوده موطوؤه فيه يرى وصف الجمال ومظهر الاحسان

الله أكبر كم على ذا المذهب الـملعون بين الناس من شيخان

يبغون منهم دعوة ويقبلو ن أياديا منهم رجا الغفران

لو أنهم عرفوا حقيقة أمرهم رجموهم لا شك بالصوان

فابذل لهم ان كنت تبغي كشفهم وافرش لهم كفاً من الأتبان

واظهر بمظهر قابل منهم ولا تظهر بمظهر صاحب النكران

وانظر الى أنهار كفر فجرت وتهم لولا السيف بالجريان

يقول الناظم: إنه قد مضى على هذه المقالة أمة خلف ابن سينا، منهم نصير الكفر وأصحابه، يعني النصير الطوسي، ونحوه قوله: فاغتذوا بلبان اللبان، بكسر اللام. قال الأعلم: هو للآدميين، واللبن لغيرهم، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع. قوله: صوفيهم عبـد الوجود المطلق الخ، أي أن صوفيتهم عندهم أن الرب ـ تعالى عن قولهم ـ هو الوجود المطلق الساري في الموجوات، والوجود المطلق لا يوجد إلا في الذهن، وقد تقدم حكاية مذاهبهم في الفصل الذي فيه قدوم ركبهم. قوله: معبوده موطوؤه، أي أن القائلين بوحدة الوجود يعتقدون ذلك لأنهم يعبدون الوجود المطلق.

قوله:

الله اكبر كم على ذا المذهب الـ لعون بين الناس من شيخان

أي: كم على هذا المذهب من مشـايخ الضلال المنتحلين لأنواع الكفر والمحال. قوله: من شيخان بكسر الشين هو جمع شيخ، أي: على ذا المذهب مشايخ كثيرون، والناس يعظمونهم لعدم معرفتهم بأقوالهم، ولأنهم يظهرون التقى والتقشف، ويربطون العوام بالحث على لزوم الكتاب

والسنة ، وتعظيم الرسل ظاهراً ، ويعظمون مشايخ الزهد والتصوف . وينتحلون أقوالهم ويعظمونها ، فلهذا التبس أمرهم على الناس . وقد يوجد في كلام بعضهم ، كابن عربي تنقص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكذلك يوجد في كلامه تنقص مشايخ الزهد والتصوف المتبعين للكتاب والسنة ؛ كالجنيد وامثاله ، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج وأمثاله .

وفي كتاب « الفرقان »[١] لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى : ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ، كانوا مناقضين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات » المكية و « الفصوص »[٢] وأشباه ذلك بمدح الكفار مثل قوم نوح ، وهود ، وفرعون ، وغيرهم ، ويتنقص بالأنبياء ، كنوح ، وابراهيم ، وموسى ، وهرون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن محمد ، وسهيل بن عبد الله التستري ، ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلاج ونحوه . انتهى .

وقوله : يبغون منهم دعوة ويقبلون أيادياً . هي جمع يد ، أي : أن الناس يقبلون أيادي المشايخ المذكورين ، ويطلبون منهم الدعاء ، ولو علموا حقيقة قولهم ، أي : لو علموا ما يقولون به من وحدة الوجود ، لرجموهم[٣] لاشك بالصوان ، أى : بالحجارة الصوانة مشددة ، ضرب من الحجارة شديد ، جمع صوان ، قاله في « القاموس » .

وقوله : فابذرهم إن كنت تبغي كشفهم الخ . أي : ان أردت أن

---

(١) هو « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » لشيخ الاسلام ابن تيميه ، وقد قام المكتب الاسلامي قريباً بطبعه مع تخريج احاديثه .

(٢) هو ابن عربي الطائي ، صاحب الشطحات .

(٣) في الاصل : رجوهم .

ويأخذ حاله زوراً فيرمي عمامته ويهرب في الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس تقرمط في العقيدة والفعال

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في مقالات طوائف الاتحاديّة في كلام الربّ جلّ جلاله جلاله

وأتت طوائف الاتحاد بملة طمت على ما قال كل لسان
قالوا كلام الله كل كلام هذا الخلق من جن ومن إنسان
نظماً ونثراً زوره وصحيحه صدقاً وكذباً واضح البطلان
فالسب والشتم القبيح وقذفهم للمحصنات وكل نوع أغان
والنوح والتعزيم والسحر المبين وسائر البهتان والهذيان
هو عين قول الله جل جلاله وكلامه حقاً بلا نكران
هذا الذي أدى اليه أصلهم وعليه قام مكسح البنيان
إذ أصلهم أن الاله حقيقة عين الوجود وعين ذي الأكوان
فكلامها وصفاتها هو قوله وصفاته ما هاهنا قولان
وكذاك قالوا إنه الموصوف بالضدين من قبح ومن احسان[1]

(١) هذا البيت سقط من الاصل ، واستدركناه من مخطوطة المتن .

وكذاك قد وصفوه أيضاً بالكما ل وضده من سائر النقصان

هذي مقالات الطوائف كلها حملت اليك رخيصة الاثمان

وأظن لو فتشت كتب الناس ما ألفيتها أبداً بذا التبيان

زفت اليك فان يكن لك ناظر أبصرت ذات الحسن والاحسان

أقول : حاصل كلام الاتحادية ، كما قال الناظم[1] ان جميع كلام الخلق كلام الله ، نظمه ونثره ، زوره وصحيحه ، صدقه وكذبه ، جميعه كلام الله تعالى عن ذلك، كما قالو :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء كان علينا نثره ونظامه

عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم الدين .

قال النّاظم رَحِمَهُ الله تعالى :

فاعطف[2] على الجهمية المغل الأُلى خرقوا سياج العقل والقرآن

تقدم معنى السياج .

شرد بهم من خلفهم واكسرهمُ بل ناد في ناديهم بأذان

أفسدتم المنقول والمعقول والـمسموع من لغة بكل لسان

أيصح وصف الشيء بالمشتق للـمسلوب معناه لذي الأذهان؟!

أيصح صبّار ولا صبر له ويصح شكار بلا شكران؟!

---

(١) أي كما قال الناظم حاكياً قول الاتحادية .

(٢) في الاصل : وعطف ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

ويصح علام ولا علم له ويصح غفار بلا غفران؟!

ويقال هذا سامع أو مبصر والسمع والأبصار مفقودان؟!

هذا محال في العقول وفي النقـول وفي اللغات وغير ذي إمكان

فلئن زعمتم أنه متكلم لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل وعليكم في ذاك محذوران

نفي اشتقاق اللفظ للمـوجود معناه به وثبوته للثاني

أعني الذي ما قام معناه به قلب الحقائق أقبح البهتان

ونظير ذا اخوان هذا مبصر وأخوه معدود من العميان

سميتم الأعمى بصيراً إذ أخو ه مبصر وبعكسه في الثاني

فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله كالخلق للأكوان

والفعل ليس بقائم بإلهنا إذ لا يكون محل ذي حدثان

ويصح أن يشتق منه خالق فكذلك المتكلم الوحدان؟!

هو فاعل لكلامه وكتابه ليس الكلام له بوصف معان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في توضيح ما تقدم فقال : فاعطف على الجهمية المغلى الألى الخ . أي : أن الجهمية خالفوا العقل والنقل ، فلهذا قال :شرد بهم من خلفهم. والتشريد :التفريق مع الاضطراب ، والازعاج .

قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى : (فشرد بهم من خلفهم) الأنفال ٥٧

قال : شردهم ، سمع بهم . وقال الزجاج : افعل بهم فعلاً من القتل تفرق به من خلفهم . يقال : شردت بني فلان: قلعتهم عن مواضعهم ، وطردتهم عنها حتى فارقوها ، ومنه شرد البعير ، إذا فارق صاحبه ، بـــل ناد في ناديهم بأذان . أي : ارفع صوتك في ناديهم ، أي : مجلسهم ، والنادي : قال في « القاموس » النادي والندوة والمنتدى : مجلس القـوم نهاراً ، أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه ، والأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعـــالى : (وأذان من الله ورسوله) التوبة :٣ أي : قل للجهمية: أفسدتم المعقول ، والمنقول ، واللغة التي نزل بها القرآن . وقل : أيصح وصف الشيء بالمشتق للمسلوب ؟ معناه : فهل يصح صبار ولا صبر له ؟ وهل يصح شكار ولا شكر له ؟ ويصح علام ولا علم له ؟ ويصح غفار بلا مغفرة ؟ ويصح ان يقال : هذا سامع أو مبصر لمن لا سمع له ولا بصر ؟ ان هذا محال في العقل ، والنقل ، واللغة .

قوله : مكسح البنيان ، هو اسم مفعول من كسح يكسح كسحاً[1] ، فهو مكسح . قال في « القاموس » : الكساحة : الكناسة ، والزمانة في اليدين . كسح ، كفرح ، وهو أكسح وكسحان . والكساح : داء للابل . والمكسح : المقشر ، والكسيح[2] : العاجز ، والاكسح : الأعرج ، والمقعد ، جمع كسحان . انتهى .

ثم قال :

فلئن زعمتم انه متكلم ... لكن بقول قام بالانسان

او غيره فيقال هذا باطل ... وعليكم في ذاك محذوران

نفى اشتقاق اللفظ الخ .

أي : أنه يلزمكم إذا قلتم بذلك أن تنفوا اشتقاق اللفـــظ الموجود معناه به الخ . . لأن لفظ متكلم مشتق من الكلام ، واذا أضفتم الكلام

(١) في الاصل : كسح يكسح تكسيحاً ، وهو خطأ ، والتصويب من « اللسان »

(٢) في الاصل : المكسر : المقشر ، والكسح ، وهو خطأ ، والتصحيح من « القاموس »

الى غير من قام به ، كان ذلك محالاً ، وهو قلب للحقائق ، وهو بمنزلة أخوين بصير ، وأعمى ، فهل يسمى الأعمى بصيراً لأن أخاه مبصر ؟ وهل يسمى المبصر أعمى لأن أخاه أعمى ؟ فهل في قلب الحقائق مثل هذا ؟!

وقوله : فلئن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله الخ. أي : إن زعمتم أن ذلك ثابت في فعله . أي : لأن الفعل عندهم هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والفعل ليس قائماً بالله تعالى عندهم ، لئلا تقوم به الحوادث عندهم ، ولكن يصح أن يشتق منه خالق ، فكذلك الكلام ، فهو عندهم فاعل لكلامه وكتابه ، ولم يزد الناظم على هذا القول هنا ، لأنه سيبسط الكلام عليه فيما بعد .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومخالف المعقول والمنقول والـ ـفطرات والمسموع للانسان

من قال إن كلامه سبحانه وصف قديم أحرف ومعان

والسين عند الباء ليست بعدها لكن هما حرفان مقترنان

أو قال إن كلامه سبحانه معنى قديم قام بالرحمن

ما إن له كل ولا بعض ولا العربي حقيقته[1] ولا العبراني

والامر عين النهي واستفهامه هو عين إخبار بلا فرقان

وكلامه كحياته ما ذاك مقدوراً له بل لازم الرحمن

هذا الذي قد خالف المعقول والـ ـمنقول والفطرات للانسان

---

(١) في الاصل : حقيقة ، والتصحيح من المتن المطبوع .

أما الذي قد قال إن كلامه ذو أحرف قد رتبت ببيانه
وكلامه بمشيئة وإدارة كالفعل منه كلاهما سيان
فهو الذي قد قال قولا يعلم العقلاء صحته بلا نكران
فلأي شيء كان ما قد قلتمُ أولى وأقرب منه للبرهان
ولأي شيء دائماً كفّرتم أصحاب هذا القول بالعدوان
فدعوا الدعاوي وابحثوا معنا بتحقيق وإنصاف بلا عدوان
وارفوا مذاهبكم وسد واخرقها إن كان ذاك الرفو في الامكان
فاحكم هداك الله بينهم فقد أدلوا اليك بحجة وبيان
لا تنصرن سوى الحديث وأهله هم عسكر القرآن والايمان
وتحيزن اليهمُ لا غيرهم لتكون منصوراً لدى الرحمن

ذكر الناظم رحمه الله مذهب الاقترانية ومذهب الكلابية والاشاعرة في كلام الله تعالى ، وقد تقدم رد مذهبهم بما فيه كفاية ، ثم بسط الكلام في مسألة : هل الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ؟ فقال :

فنقول هذا القدر قد أعيى على أهل الكلام وقاده أصلان
إحداهما هل فعله مفعوله أو غيره فهما لهم قولان
والقائلون بأنه هو عينه فروا من الأوصاف بالحدثان
لكن حقيقة قولهم وصريحه تعطيل خالق هذه الاكوان

عن فعـــله إذ فعله مفعوله لكنه ما قـــام بالرحمن

فعلى[1] الحقيقة مـاله فعل اذ الـــمفعول منفصل عن الديان

والقائلون بأنـه غيرٌ له متنازعون وهم فطـائفتان

إحداهما قالت قـديم قائم بالذات وهو كقدرة المنان

سموه تكويناً قديماً قاله أتباع شيخ العـــالم النعمان

وخصومهم لم ينصفوا في رده بل كابروهم ما أتوا ببيان

والآخرون رأوه أمراً حادثاً بالذات قـــام وأنهم نوعان

إحداهما جعلته مفتتحاً به حذر التسلسل ليس ذا إمكان

هذا الذي قالته كرامية ففعاله وكلامه ســـيان

والآخرون أولو الحديث كأحمد ذاك ابن حنبل الرضى الشيباني

قد قال إن الله حقاً لم يزل متكلماً ان شاء ذو إحســـان

جعل الكلام صفات فعل قائم بالذات لم يفقـد من الرحمن

وكذاك نص على دوام الفعل بالـــ إحسـان أيضاً في مكان ثان

وكذا ابن عباس فراجع قوله لمـا أجاب مسائل القرآن

وكذاك جعفرٌ الامام الصادق الـــمقبول عند الخلق ذي العرفان

قد قال لم يزل المهيمن محسناً براً جواداً عنـد كل أوان

---

(١) في الاصل : فعل ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

وكذا الامام الدارمي فانه قد قال مافيه هدى الحيران

قال الحياة مع الفعال كلاهما متلازمان فليس يفترقان

صدق الامام فكل حي فهو فعا ل وذا في غاية التبيان

الا اذا ما كان ثم موانع من آفة أو قاسر الحيوان

والرب ليس لفعله من مانع ما شاء كان بقدرة الديان

ومشيئة الرحمن لازمة له وكذاك قدرة ربنا الرحمن

هذا وقد فطر الإله عباده ان المهيمن دائم الاحسان

أولست تسمع قول كل موحد يا دائم المعروف والسلطان

وقديم الاحسان الكثير ودائم الجود العظيم وصاحب الغفران

من غير إنكار عليهم فطرة فطروا عليها لا تواص ثان

أو ليس فعل الرب تابع وصفه وكما له أفذاك ذو حدثان ؟!

وكما له سبب الفعال وخلقه أفعالهم سبب الكمال الثاني

أو ما فعال الرب عين كماله أفذاك ممتنع على المنان ؟!

أزلاً الى أن صار فيما لم يزل متمكناً والفعل ذو إمكان

تالله قد ضلت عقول القوم إذ قالوا بهذا القول ذي البطلان

ماذا الذي أضحى له متجدداً حتى تمكن فانطقوا ببيان

والرب ليس معطلا عن فعله بل كل يوم ربنا في شان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى النزاع في الأصل المشهور : وهو أنه : هل الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ؟ ومعنى ذلك أن الناس تنازعوا في الأفعال اللازمة المضافة الى الرب سبحانه وتعالى ، مثل المجيء ، والاتيان ، والاستواء الى السماء ، والى العرش ، بل وفي الأفعال المتعدية ، مثل الخلق ، والاحسان ، والعدل ، وغير ذلك : هل يكون خلقه للسموات والأرض فعلًا فعله غير المخلوق ، أم فعله هو المفعول والخلق هو المخلوق ؟ على قولين معروفين ، والأول هو المأثور عن السلف ، وهو الذي ذكره البخاري في كتاب « خلق الأفعال »[1] عن العلماء مطلقاً ، ولم يذكروا فيه نزاعاً .

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب « خلق الافعال » : اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول ، فقالت القدرية : الأفاعيل كلها من البشر ، وقالت الجبرية ، الأفاعيل كلها من الله . وقالت الجهمية : الفعل والمفعول واحد ، لذلك قالوا : (كن) مخلوق . وقال : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة ، ففعل الله صفة الله ، والمفعول من سواه من المخلوقات . انتهى .

وكذلك ذكره البغوي وغيره عن مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره أبو علي الثقفي والضبعي وغيرهما من أصحاب ابن خزيمة في العقيدة التي اتفقوا هم وابن خزيمة على أنها مذهب أهل السنة ، وكذلك ذكره الكلاباذي في كتاب « التعرف لمذهب التصوف » أنه مذهب الصوفية ، وهو مذهب الحنفية ، وهو مشهور عندهم ، وهو قول السلف ، وجمهور الطوائف ، وهو قول جمهور أصحاب أحمد متقدميهم[2] ، وأكثر المتأخرين منهم ،

---

(١) وهو المعروف بكتاب « خلق أفعال العباد » .

(٢) في الاصل : متقدموهم كلهم .

وهو آخر قولي القاضي أبي يعلى ، و كذلك قول أئمة الشافعية ، والمالكية ، وأهل الحديث ، وأكثر أهل الكلام ، كالهشامية والكلابية ، والكرامية كلهم ، وبعض المعتزلة ، و كثير من أساطين الفلاسفة . وذهب متقدموهم ، ومتأخروهم ،وآخرون من أهل الكلام ،الجهمية ، والمعتزلة ، والأشعرية ، الى أن الخلق هو نفس المخلوق ، وليس لله عند هؤلاء صنع ، ولا خلق ، ولا فعل ، ولا ابداع الا المخلوقات أنفسها ، وهو قول طائفة من الفلاسفة المتأخرين إذ[1] قالوا بأن الرب مبدع ، كابن سيناء ونحوه .

قوله : والقائلون بأنه غير ؛ أي : القائلون بأن الخلق هو المخلوق ، فروا من قيام الحوادث بالرب تعالى ، والحجة المشهورة للقائلين بأن الخلق هو المخلوق ، أنه لو كان خلق المخلوقات بخلق ، لكان ذلك الخلق إما قديماً وإما حادثاً ، فان كان قديماً ، لزم قدم كل مخلوق ، وهذا مكابرة ، وان كان حادثاً ، فان قام بالرب ،لزم قيام الحوادث به ،وان لم يقم به ، كان الخلق قائماً بغير الخالق ، وهذا ممتنع ، وسواء قام به،أو لم يقم به،يفتقر ذلك الخلق الى خلق آخر ، ويلزم التسلسل . هذا عمدتهم ، وقد أجابهم القائلون بأن الخلق غير المخلوق بأجوبة شافية كافية ، فلتطلب من المطولات . وأما حجة القائلين بأن الخلق غير المخلوق ، فقد ذكرها الناظم رحمه الله تعالى ، ولكن الكرامية ـ كما ذكر الناظم ـ جعلت له أولاً ،خوفاً من القول بالتسلسل .

وقوله : إحداهما قالت قديم قائم الخ .أي : إن أتباع شيخ العالم بفتح اللام ، وهو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، عالم العراق رحمه الله تعالى ، قد قالوا : ان التكوين قديم قائم بالذات ، والمكون حادث ، وهو كقدرته سبحانه ، كما قال الامام أبو جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته

---

(١) في الاصل : إذا

المشهورة[1] : إن الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أبدياً ،ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا باحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبيه ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لايحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . انتهى .

قوله : والآخرون رأوه أمراً حادثاً بالذات قام الخ . أي: أن الكرامية رأوا أن الفعل أمر حادث قائم بذات الله ، ولكن له أول ، وهو معنى قول الناظم عنهم ، ففعاله وكلامه سيان ، يعني أن كلامه له أول وفعاله لها أول عند الكرامية .

قوله : والآخرون أولو الحديث كأحمد الخ . أي : أن مذهب أهل الحديث ، كأحمد بن حنبل وغيره ، أن الله تعالى لم يزل متكلماً ، ولم يزل فعالاً ، ولهذا قال الناظم عن الامام أحمد : إن الله حقاً لم يزل متكلماً إن شاء . قال الامام أحمد في رواية حنبل : لم يزل الله عالماً متكلما غفوراً . وقال في الرد على الجهمية : لم يزل الله عالماً قادراً مالكاً، لا متى ولا كيف.

قوله : وكذا ابن عباس فراجع قوله الخ . يريد مارواه البخاري في « صحيحه » عن سعيد بن جبير أن رجلاً سأل ابن عباس قال : إني أجد

---

(١) وقد قمنا بطبعها مع شرحها مصححة محققة وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

في القرآن أشياء تختلف عليّ، فذكر مسائله ، ومنها قال : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيما) النساء : ٩٦ (وكان الله عزيزاً حكيما) النساء : ١٥٨ (وكان الله سميعاً بصيراً) النساء : ١٣٤ وكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس : وقوله : (وكان الله غفوراً رحيما) سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي : لم أزل كذلك ، هذا لفظ البخاري بتمامه ؛ واختصر الحديث ، ورواه البرقاني عن طريق شيخ البخاري بتمامه ، فقال ابن عباس: فأما قوله : (وكان الله غفوراً رحيما) (وكان الله عزيزاً حكيما) (وكان الله سميعاً بصيراً) فان الله جعل نفسه ذلك ؛ وسمى نفسه ذلك ، ولم ينحله أحداً غيره ، وكان الله . أي : لم يزل كذلك ، هذا لفظ الحميدي صاحب «الجمع» . ورواه البيهقي عن البرقاني من حديث محمد بن إبراهيم البوشنجي، عن يوسف بن عدي شيخ البخاري قال : إن الله سمى نفسه ذلك ، ولم ينحله غيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل كذلك ، ورواه البيهقي من رواية يعقوب بن سفيان . عن يوسف ، ولفظ ابن عباس : فان الله سمى نفسه ذلك ولم يجعله غيره ، فذلك قوله : (وكان الله) أي : لم يزل .

قوله : وكذلك جعفر الامام الخ . يعني مارواه الثعالبي في تفسيره باسناده عن جعفر بن محمد الصادق ، أنه سئل عن قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) المؤمنون: ١١٥ لم خلق الخلق؟ فقال: لأن الله كان محسناً بما لم يزل، فيما لم يزل ، الى ما لم يزل، فأراد تعالى أن يفيض إحسانه الى خلقه، وكان غنياً عنهم، لم يخلقهم لجر منفعة، ولا لدفع مضرة، ولكن خلقهم، وأحسن اليهم، وأرسل إليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل ، فمن أحسن كافأه بالجنة ، ومن عصى كافأه بالنار .

قوله : وكذا الامام الدارمي الخ . قال الامام عثمان بن سعيد الدارمي

في كتاب « النقض على المريسي »[١] حين احتج بقوله تعالى (الله لا إله الا هو الحي القيوم) البقره : ٢٥٥ وادعى أن تفسير القيوم : الذي لايزول ، يعني الذي لاينزل ، ولا يتحرك ، ولا يقبض. ولا يبسط . قال عثمان[٢] وكان واضحاً عند العلماء وأهل البصر بالعربية ، أن معنى لا يزول : لا يفنى ولا يبيد ، لأنه لا يتحرك ولا يزول من مكان الى مكان إذا شاء ، كما كان يقال في الشيء الفاني : هو زائل ، كما قال لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

يعني : فان ، لا أنه متحرك ، فان أمارة مابين الحي والميت التحرك ، وما لا يتحرك ، فهو ميت لايوصف بحياة ، كما لاتوصف الأصنام الميتة (بالحياة). قال الله تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم لايخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) النحل : ٢٠ ، ٢١ فالله الحي ، القيوم ، القابض ، الباسط ، يتحرك إذا شاء ، ويفعل مايشاء ، بخلاف الأصنام التي لاتزول حتى تزال . وقال البخاري : ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق ، وأن العرب لاتعرف الحي من الميت الا بالفعل ، فمن كان له فعل فهو حي ، ومن لم يكن له فعل فهو ميت وأن أفعال العباد مخلوقة ، فضيق عليه حتى مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به . قال : وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيماً ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع ، بل البدع والتوثب بالجهل لغيرهم أولى ، اذ يفتون بالآراء المختلفة مما لم يأذن به الله . انتهى .

---

(١) وقد قمنا بطبعه قريباً بعنوان «الرد على الجهمية » للامام ابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي .

(٢) اي الدارمي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والأمر والتكوين وصف كما له ... ما فقد ذا ووجوده سيان

وتخلف التأثير بعد تمام مو ... جبه محال ليس في الامكان

والله ربي لم يزل ذا قدرة ... ومشيئة ويليهما وصفان

العلم مع وصف الحياة وهذه ... أوصاف ذات الخالق المنان

وبها تمام الفعل ليس بدونها ... فعل يتم بواضح البرهان

فلأي شيء قد تأخر فعله ... مع موجب قد تم بالأركان

ما كان ممتنعاً عليه الفعل بل ... ما زال فعل الله ذا إمكان

والله عاب المشركين بأنهم ... عبدوا الحجارة في رضى الشيطان

ونعى عليهم كونها ليست بذا ... لقة وليست ذات نطق بيان

فأبان أن الفعل والتكليم من ... أوثانهم لا شك مفقودان

فاذا هما فقدا فما مسلوبها ... باله حق وهو ذو بطلان

والله فهو إله حق دائماً ... أفعنه ذا الوصفان مسلوبان ؟!

أزلاً وليس لفقدها من غاية ... هذا المحال وأعظم البطلان

إن كان رب العرش حقاً لم يزل ... أبداً إله الحق ذا سلطان

فكذاك أيضاً لم يزل متكلماً ... بل فاعلاً ماشاء ذا إحسان

والله ما في العقل ما يقضي لذا بالرد والابطال والنكران
بل ليس في المعقول غير ثبوته للخالق الأزلي ذي الاحسان
هذا وما دون المهيمن حادث ليس القديم سواه في الاكوان
والله سابق كل شيء غيره ما ربنا والخلق مقترنان
والله كان وليس شيء غيره سبحانه جل العظيم الشان
لسنا نقول كما يقول الملحد الـــزنديق صاحب منطق اليونان
بدوام هذا العالم المشهود والـــ أرواح في أزل وليس بفان
هذي مقالات الملاحدة الأُلى كفروا بخالق هذه الاكوان

قوله :

وتخلف التأثير بعد تمام مو جبه محال ليس في الإمكان

والمولى سبحانه لم يزل ذا قدرة، ومشيئة، وعلم، وحياة ، وهذه كما قال الناظم: أوصاف ذات الخالق المنان. وبها تمام الفعل، ومع وجود المؤثر التام يلزم وجود الأثر ، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك ، فالرب سبحانه لم يزل فعالاً متكلما إذا شاء ، ولهذا لما قال المتكلمون بوجوب تأخر الأثر ، أورد عليهم من الاشكالات ما لا جواب لهم عنه ، ثم قال الناظم : والله عاب المشركين بأنهم عبدوا الحجارة الخ . أي : أن الله عاب على المشركين عبادة الأصنام، ونعى عليهم كونها لاتخلق ولا تتكلم ، واذا فقد الفعل والكلام ، فليس مساويها بالله حق ، والله تعالى وتقدس لم يزل متكلما فعالاً محسناً ، وما سواه حادث ، كما قال الناظم : هذا وما دون المهيمن حادث .

وقوله : والله كان وليس شيء غيره الخ . أي : ان المولى سبحانه كان

وليس معه شيء من خلقه ، كما قال : ماربنا والخلق مقترنان .

وقوله : ماربنا والخلق مقترنان . هـــذا إشارة الى الرد على ابن سينا وأتباعه القائلين بأن العالم معلول لعلة قديمة أزلية ، وأن العالم لم يزل مع الله أزلاً وأبداً ، ويقولون : العلة متقدمة على المعلول ، وان قارنته بالزمان . فيقال لهم : إن أردتم بالعلة ما هو شرط في وجود المعلول لا مبدعاً له ، كان حقيقة ذلك أن واجب الوجود ليس مبدعاً للممكنات ولا رباً لهـــا ، بل وجوده شرط في وجودها ، وهذا حقيقـة قوا هؤلاء ، فالرب على أصلهم والعالم متلازمان ، كل منهما شرط في الآخر ، والرب محتاج الى العالم ، كما أن العالم محتاج الى الرب ، وهم يبالغون في اثبات غناه عن غيره، وعلى أصلهم فقره الى غيره كفقر بعض المخلوقات ، وان أرادوا بالعلة ما هو مبدع للمعلول ، فهذا لايعقل ، مع كون زمانه زمان المعلول لم يتقدم على المعلول تقدماً حقيقياً ، وهو التقدم المعقول ، واذا شبهوا وجود الفلك مع الرب بالصوت مع الحركة ، والضوء مع الشمس ، كان هذا ونحوه تشبيهـاً باطلاً لايفيد امكان صحة قولهم ، فضلاً عن اثبات صحته ، فان هـــذه الأمور وأمثالها إما أن يقال فيها : إن الثاني موجود متصل بالأول كاجزاء الزمان والحركة ، لأنه معه في الزمان ، وأما أن يقال : الثاني مشروط بالأول ، لا أن الأول مبدع للثاني فاعل له ، فلا يمكنهم أن يذكروا وجود فاعل لغيره ، مع أن زمانهما معاً أصلاً ، وعامة العقلاء مطبقون على أن العلم بكون الشيء المعين مراداً مقدوراً يوجب العلم بكونه حادثاً بعد أن لم يكن ، بل هذا عندهم من الامور الضرورية ، ولهذا كان مجرد تصور العقلاء أن الشيء مقدور للفاعل مراد له فعله بمشيئته وقدرته ، يوجب العلم بأنه حادث ، بل مجرد تصورهم كون الشيء مفعولاً أو مخلوقاً أو مصنوعاً أو نحو ذلك من

العبارات ، يوجب العلم بأنه محدث كائن بعد أن لم يكن ، ثم بعد هـذا ينظر في أنه فعله بمشيئته وقدرته ، وإذا علم أن الفاعل لايكون فاعلاً الا بمشيئته وقدرته ، وما كان مقدوراً ومراداً فهو محدث ، كان هذا أيضاً دليلاً ثابتاً على أنه محدث ، ولهذا كان كل من تصور من العقلاء أن الله خلق السموات والأرض ، أو خلق شيئاً من الاشياء ، كان هذا مستلزماً لكون ذلك المحدث مخلوقاً ، كائناً بعد أن لم يكن ، واذا قيل لبعضهم : هو قديم مخلوق ، أو قديم ، وعنى بالمخلوق مايعنيه هؤلاء المتفلسفة الدهريه المتأخرون الذين يريدون بلفظ المحدث أنه معلول ، ويقولون : إنه قديم أزلي ، مع كونه معلولاً ممكناً ، يقبل الوجود والعدم ، فاذا تصور العقل هذا المذهب جزم بتناقضه ، وأن أصحابه جمعوا بين النقيضين حيث قدروا مخلوقاً محدثاً معلولاً مفعولاً ممكناً أن يوجد وأن يعدم ، وقدروه مع ذلك قديماً أزلياً واجب الوجود بغيره يمتنع عدمه .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وقد بسطنا هـذا في الكلام على المحصل وغيره ، وذكرنا أن ما ذكره الرازي عن أهل الكلام من أنهم يجوزون وجود مفعول معلول أزلي للموجب بذاته ، أنه لم يقله أحد منهم ، بل هم متفقون على أن كل مفعول فانه لايكون الا محدثاً ، وكل ما قدر أنه معلول لعلة فاعلة ، فانه لايكون الا محدثاً ، وما ذكره هو وأمثاله موافقة لابن سينا ، من أن الممكن وجوده وعدمه ، قد يكون قديماً أزلياً ، قول باطل عند جماهير العقلاء من الأولين والآخرين ، حتى عند أرسطو وأتباعه القدماء والمتأخرين ، فانهم موافقون لسائر العقلاء من أن كل ممكن يمكن وجوده وعدمه لايكون الا محدثاً كائناً بعد أن لم يكن ، وأرسطو

اذا قال : إن الفلك قديم ؛ لم يجعله مع ذلك ممكناً يمكن وجوده وعدمه ، والمقصود أن العلم بكون الشيء مقدوراً مراداً يوجب العلم بكونه محدثاً ، بل العلم بكونه مفعولاً يوجب العلم بكونه محدثاً ، فان الفعل والخلق والابداع والصنع ونحو ذلك ، لايعقل الا مع قصور حدوث المفعول . وأيضاً فالجمع بين كون الشيء مفعولاً وبين كونه قديماً أزلياً مقارناً للفاعل في الزمان ، جمع بين المتناقضين ، ولا يعقل قط في الوجود فاعل قارنه مفعوله المعين ، سواء سمي علة ، أو لم يسم ، ولكن يعقل كون الشرط مقارناً للمشروط ، والمثل الذي يذكرونه من قولهم : حركت يدي فتحرك خاتمي ، او كمي ، او المفتاح ، ونحو ذلك ، حجة عليهم لالهم ، فان حركة اليد ليست هي العلة التامة ، ولا الفاعل لحركة الخاتم ، بل الخاتم مع الاصبع كالاصبع من الكف ، فالخاتم متصل بالاصبع ، والأصبع متصلة بالكف ، لكن الخاتم يمكن نزعه بلا ألم ، بخلاف الكف . وقد يفرض بين الاصبع والخاتم تقدم بيسير ، بخلاف أبعاض الكف ، ولكن حركة الاصبع شرط في حركة الخاتم ، كما أن حركة الكف شرط في حركة الاصبع ، أعني في الحركة المعينة التي مبدؤها من اليد ، بخلاف الحركة التي تكون للخاتم او الاصبع ابتداء ، فان هذه تتصل منها الى الكف ، كمن يجر أصبع غيره ، فيجر معه كفه ، وما يذكرونه من ان التقديم يكون بالذات والعلة ، كحركة الاصبع ، ويكون بالطبع ، كتقدم الواحد على الاثنين ، وتكون بالمكانة ، كتقدم العالم على الجاهل ، ويكون بالمكان ، كتقدم الصف الأول على الثاني ، وتقدم مقدم المسجد على مؤخره ، وتكون بالزمان ؛ كلام مستدرك ، فان التقدم والتأخر المعروف هو التقدم بالزمان ، فان قبل وبعد ومع ونحو ذلك ، معانيها لازمة للتقدم والتأخر الزماني ، وأما التقدم بالعلية ، او الذات مع المقارنة في الزمان ، فهذا لا يعقل البتة ،

ولاله مثال مطابق في الوجود ، بل هو مجرد تخييل لاحقيقة له ، وأما تقدم الواحد على الاثنين ، فان عني به أن الواحد المطلق قبل الاثنين المطلق ، فيكون مقدماً في التصور تقدماً زمانياً ، وإن لم يعن به هذا ، فلا تقدم ، بل الواحد شرط في الاثنين مع كون الشرط لايتأخر عن المشروط ، بل قد يقارنه وقد يكون معه ، فليس هنا تقدم واجب غير التقدم الزماني ، وأما التقدم بالمكان ؛ فذاك نوع آخر ، وأصله من التقدم بالزمان ، فان مقدم المسجد تكون فيه الأفعال المتقدمة بالزمان على مؤخره ، فالامام يتقدم فعله بالزمان لفعل المأموم ، فسمي محل الفعل المتقدم متقدماً ، وأصله هذا ، وكذلك التقدم بالرتبة ، فان أهل الفضائل مقدمون في الافعال الشريفة والامكنة ، وغير ذلك على من دونهم ، فسمي ذلك تقدماً وأصله هذا .

وحينئذ فاذا كان الرب هو الأول المتقدم على كل ماسواه ، كان كل شيء متأخراً عنه ، وإن قدر أنه لم يزل فاعلاً ، فكل فعل معين ، فهو متأخر عنه ، وإذا قيل : الزمان مقدار الحركة ، فليس هو مقدار حركة معينة ، كحركة الشمس ، او الفلك ، بل الزمان المطلق مقدار الحركة المطلقة ، وقد كان قبل أن تخلق السموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، حركات وأزمنة ، وبعد أن يقيم الله القيامة فتذهب الشمس والقمر ، ويكون في الجنة حركات ، كما قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) مريم : ٦٢ وجاء في الآثار أنهم يعرفون الليل والنهار بأنوار تظهر من جهة العرش ، وكذلك لهم في الآخرة يوم المزيد ، يوم الجمعة ، يعرف بما يظهر فيه من الأنوار الجديدة القوية ، وان كانت الجنة كلها نوراً يزهر ونهراً يطرد ، لكن يظهر (في) بعض الأوقات نور آخر يتميز به الليل عن النهار ، فالرب سبحانه إذا لم يزل متكلماً بمشيئته ، كان مقدار كلامه وفعاله الذي لم يزل ، هو الوقت الذي يحدث مايحدث فيه من مفعولاته ، وهو سبحانه متقدم على كل ماسواه التقدم الحقيقي

المعقول . وأطال الشيخ رحمه الله في هذه المسألة ، ثم هؤلاء الشذوذ من المتأخرين الذين زعموا أن الفعل لايشترط فيه تقدم العدم ، فذكروا حججاً ذكرها ابن سينا وغيره من متأخريهم ، واستقصاها الرازي في « المباحث الشرقية » وذكر في ذلك ما سماه عشرة براهين ، وكلها باطلة ، وفي ذكرها وأجوبتها طول يخل بالمقصود ، وهذا جواب عما لعله يتوهم ، وهو أنكم إذا قلتم : إن الرب تعالى لم يزل فعالاً ، لزمكم القول بقدم العالم ، كما تقوله الفلاسفة ، فنفى ذلك بقوله : لسنا نقول كما يقول الملحد الزنديق الخ . وقد بسط الجواب عن هذا الايراد في فصل اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى ، كما سيأتي .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً ... للمسلمين فقال بالامكان

لكنه الأزلي ليس بمحدث ... ما كان معدوماً ولا هو فان

وأتى بصلح بين طائفتين بينهما الحروب وما هما سلمان

أنى يكون المسلمون وشيعة اليونان صلحاً قط في الايمان

والسيف بين الأنبياء وبينهم ... والحرب بينهما فحرب عوان

وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح بصارم منه وسل لسان

وأتى الى الاسلام يهدم أصله ... من أسه وقواعد البنيان

عمر المدارس للفلاسفة الألى ... كفروا بدين الله والقرآن

وأتى الى أوقاف أهل الدين ينقلها إليهم فعل ذي أضغان

وأراد تحويل الاشارات التي هي لابن سينا موضع الفرقان
وأراد تحويل الشريعة بالنوا ميس التي كانت لدى اليونان
لكنه علم اللعين بأن هـذا ليس في المقدور والامكان
إلا إذا قتل الخليفة والقضـاة وسائر الفقهاء في البلدان
فسعى لذاك وساعد المقدور بالـ أمر الذي هو حكمة الرحمن
فأشار ان يضع التتار سيوفهم في عسكر الايمان والقرآن
لكنهم يبقون أهل صنائع الـدنيا لأجـل مصالح الابدان
فغدا على سيف التتار الالف في مثل لهـا مضروبة بوزان
وكذا ثمان مئينها في ألفها مضروبة بالعد والحسبان
حتى بكى الاسلام أعداءُ اليهو دكذا المجوس وعابدو الصلبان
فشفى اللعين النفس من حـزب الرسول وعسكر الايمان والقرآن
وبوده لو كان في أحد وقد شهد الوقيعة مع ابي سفيان
لأُقر أعينهم وأوفى نـذره أو أن يرى متمزق اللحمان

قوله : وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعاً للمسلمين فقال بالامكان الخ .
أي : ان ابن سينا قال : ان العالم ممكن ، ومعنى ذلك عنده ، أن القديم ممكن ، وله ماهية تقبل الوجود والعدم ، وهذا مما خالف[1] فيه جمهور

(١) في الاصل : خلف .

العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، حتى إنه هو تناقض في ذلك، فوافق سلفه وجميع العقلاء ؛ وصرح بأن الممكن لايكون إلا مايقبل الوجود والعدم . وطريقته هذه لم يسلكها سلفه الفلاسفة ، كأرسطو وأصحابه ؛ بل ولا سلكها جماهير الفلاسفة ؛ بل كثير من الفلاسفة ينازعونه في نفيه لقيام الصفات بذات واجب الوجود ، ويقولون : إنه تقوم به الصفات والارادات ؛ وإن كونه واجباً بنفسه لاينافي ذلك ، كما لاينافي عندهم جميعاً كونه قديماً ؛ ولكن ابن سينا وأتباعه ؛ لما شاركوا الجهمية في نفي الصفات ؛ وشاركوا سلفهم الدهرية في القول بقدم العالم ؛ سلكوا في اثبات رب العالمين طريقاً غير طريقة سلفهم[1] المشائين ؛ كأرسطو وأتباعه الذين أثبتوا العلة الاولى بحركة الفلك الاراديه ؛ وأن لها محركا يحركها كحركة المعشوق لعاشقه ؛ وهو يحرك الفلك للتشبه بالعلة الاولى ؛ فعدل ابن سينا عن تلك الطريقة الى هذه الطريقة التي سلخها من طريقة اهل الكلام الذين يحتجون بالمحدث على المحدث ، وهو لايقول بحدوث العالم ؛ فجعل طريقته الاستدلال بالممكن على الواجب ، ورأى اولئك المتكلمين قسموا الوجود الى قديم ومحدث ، فقسمه هو الى واجب ، وممكن ، وأثبت الواجب بهذا الطريق . وابن سينا يعجب بهذه الطريقة ، ويقول : إنه أثبت واجب الوجود من نفس الموجود من غير احتياج الى الاستدلال بالحركة ، كما فعل أسلافه .

قال شيخ الاسلام في كتاب « العقل والنقل » : وكل هؤلاء يقولون : ما كان معلولاً يمكن وجوده ، ويمكن عدمه ، لايكون الا حادثاً مسبوقاً بالعدم ، وممن قال ذلك ، أرسطو وأتباعه ، حتى ابن سينا وأمثاله صرحوا بذلك ، لكن ابن سينا تناقض مع ذلك ، فزعم ان الفلك هو قديم أزلي مع كونه ممكناً يقبل الوجود والعدم ، وهذا مخالف لما صرح به هو، وصرح

---

(١) في الاصل : سلفه .

به أئمته وسائر العقلاء ، وهو مما أنكره عليه ابن رشد الحفيد ، وبين أن هذا مخالف لما صرح به أرسطو وسائر الفلاسفة ، وأن هذا لم يقله أحد قبله ؛ وأرسطو لم يكن يقسم الوجود الى واجب وممكن ، ولا يقول : ان الأول موجب بذاته للعالم ، بل هذا قول ابن سينا وأمثاله ، وهو وإن كان أقرب الى الحق مع فساده وتناقضه ؛ فليس هو قول سلفه ؛ بل قول أرسطو وأتباعه : إن الأول إنما افتقر اليه الفلك لكونه يتحرك للتشبيه به ، لا لكون الأول علة فاعلة له ، وحقيقة قول أرسطو وأتباعه إنما كان واجب الوجود ، أنه لا يكون مفتقراً الى غيره ، فيكون جسما مركباً حاملاً للأعراض ، فان الفلك عندهم واجب بذاته ، وهو كذلك كما قد بسط كلامهم والرد عليهم في غير هذا الموضع .

قلت : قال ابن رشد في كتاب « التهافت » في الرد على ابن سينا : فاما مايريده ابن سينا في هذه الطريقة ويقول: ان الممكن الوجود يجب أن ينتهي إما الى واجب الوجود من غيره ، أو واجب الوجود من ذاته ، فان انتهى الى واجب الوجود من غيره ، وجب في الواجب الوجود من غيره أن يكون لازماً عن واجب الوجود لذاته ؛ وذلك أنه زعم أن واجب الوجود من غيره هو ممكن والوجود من ذاته ، والممكن يحتاج الى واجب ، وإنما كانت هذه الزيادة عندي فضلا وخطأ ، لأن الواجب كيفما فرض ليس فيه إمكان أصلا ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة . ويقال في تلك الطبيعة : انها ممكنة من جهة واجبة من جهة ، لأنه قد بين القوم أن الواجب ليس فيه امكان أصلا ، لأن الممكن نقيض الواجب ، وانما الذي يمكن أن يوجد شيء واجب من جهة طبيعية ما ، ممكن من جهة طبيعية أخرى ، مثل مايظن الأمر عليه في الجرم السماوي ، أعني أنه واجب في الجوهر ، ممكن في الحركة في الأين ؛ وانما الذي قاده الى هذا

التقسيم أنه اعتقد في السماء أنها في جوهرها واجبة من غيرها، ممكنة من ذاتها، وقد قلنا في غير ما موضع : ان هذا لايصح بالبرهـــان الذي استعمله ابن سينا في واجب الوجود ، متى لم يفصل هذا التفصيل ، وعين هذا التعيين ، كان من طبيعة الأقاويل العامة الجدلية ، ومتى حصل ، كان من طبيعـــة الأقاويل البرهانية . انتهى كلامه .

قوله : وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح الخ . تقدمت ترجمـــة الطوسي ، وذكر شيء من أحـــواله ،ومافعله بالمسلمين مع هولاكو ملك التتار شائع ذائع ، أشـــار الناظم الى ذلك بقوله : فأشار أن يضع التتار سيوفهم الخ . وذلك لما قاتل التتار الخليفة المستعصم بالله والمسلمين في بغداد، والقصة مشهورة في التاريخ ،فأما ما جرى على بغداد ، فقد ذكر ذلك الذهبي وغيره . قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » وفي سنة ٦٥٦ أحاط أمر الله ببغداد ، فأصبحت خاوية على عروشها ، وبقيت حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، فانا لله وانا اليه راجعون ، نازلها المغول في أخلاط من السفل ، وأوباش من المنافقين ، وكل من لم يؤمن بالحساب .قال : وكان ابن العلقمي الوزير والياً على المسلمـــين ، وكان رافضياً جلداً ، فلما استداروا ببغداد ، وخارت القوى ، وجف الريق ، وانخلعت الافئدة ، أشـــار الوزير على الخليفة المستعصم بالله بمصانعة العدو وقال : دعني أخرج اليهم في تقرير الصلح ، فخرج ، فاستوثق لنفسه ولمن أراد ، وجاء الى الخليفة وقال: إن الملك قد رغب أن يزوج ابنته بابنك أبي بكر ، ويبقيك في الخلافة كما كان الخلفاء مع السلجوقية ، ويرحل عنك ، فأجبه الى ذلك ، فان فيه حقن الدماء ، وأرى أن تخرج إليـــه ، فخرج الخليفة في جمع من الاعيان الى السلطان هولاكو ، فأنزله في خيمة ، ثم دخـــل الوزير فاستدعى الأكابر

لحضور العقد ، فحضروا وضربت أعناقهم ، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة[١] فيقتلون ، ثم صيح في البلد ، وبذل السيف ، واستمر القتل ، والسبي والحريق ، والنهب ، وقامت قيامة بغداد ـ فلاحـــول ولاقوة الا بالله ـ بضعاً وثلاثين يوماً ، كل صباح يدخل فرقة من التتار فيحصدون محلة ، حتى جرت السيول من الدماء ، وردمت فجاج المدينة من القتلى ، حتى قيل : انه راح تحت السيف ألف ألف وثمانمائة ألف . قال : والاصح أنهم بلغوا نحواً من ثمانمائة ألف . وهذا شيء لايكاد ينضبط ، فانهم قتلوا في الطرق ، والجوامع والبيوت ، والأسطحة ، وبظاهر البلد ، مالا يحصى ، بل هي ملحمة ماجرى قط في الاسلام مثلها ، وسبوا من النســاء والصغار ماملأ الفضاء ، وممن أسر ولد الخليفة الصغير وإخوانه ، وقتل الخليفة وابناه أحمد وعبدالرحمن ، وممن قتل مع الخليفة من الاعيان أعمامه علي ، والحسين ، ويوسف ، وجماعة من أهل بيته ، وأخرج الصاحب محيي الدين الرئيس العلامة ابن الجوزي ، وبنوه : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، فضربت أعناقهم ، وممن قتل صبراً جماعة مستكثرون من العلماء ، والامراء ، والاكابر ، وخلت بغداد من أهلها ، ودثرت المحال ، واستولى عليها الحريق ، واحترقت دار الخلافة ، والجامـــع الكبير ، حتى وصلت النار الى خزانة الكتب ، وعم الحريق جميع البلاد ، وما سلم الا مافيه (من) هؤلاء الملاعين ، وضاقت بالقتلى ، وانداسوا بالارجل[٢] ، ولم يبق ممر إلا على القتلى ، وكان الاطفال يتقلبون في الوحل الى أن يموتوا ، وعاين من سلم من الأهوال مالا يعبر عنه ، ثم وقع الوباء ، وكثر الموت ، وكثر الذباب جداً ، حتى غطى الجدران ، ولزم الناس البصل من جيفة الدنيا ، وجاءت القوافل بالجلب من (الحـــلة) بخبز وجبن وبيض ، وتعوض أهـل الجلب بالكتب ، يأخـذون المجلد بفلس ،

(١) في الاصل : يخرج كل طائفة بعد طائفة . (٢) في الاصل : في الأرجل .

ورميت الكتب مدة النهب تحت أرجل الخيل ، وألقي خلق من القتلى فى دجلة ، وحفرت حفائر وطمت على خلق كثير ، جعـــل الله ذلك كفارة وتمحيصاً . وزعم العلقمي أنه[1] يحسن لهولا كوأن يقيم ببغداد خليفة علوياً ؛ فلم يتهيأ له ذلك ، ثم لم يلبث أن هلك ، ولم يبق من بغداد وأهلها الا مقدار الثمن ، ونحو ذلك . وفي أثناء ذلك العام فسد الهواء لملحمة بغداد ، واتصل الوباء بالشام ، ومات أمم بدمشق وغيرها . انتهى كلامه .

ومعنى ماذكره الناظم رحمه الله تعالى فى قوله : فغدا على سيف التتار الألف في مثل لها مضروبة بوزان . وكذا ثمان مئينها في ألفها الخ . أي : أن القتلى في بغداد بلغوا ألف ألف وثمانمائة الف ، لكن في هذا نظر ، كما ذكره الذهبي . قال : والأصح أنهم بلغوا نحواً من من ثمانمائة ألف ، وهذا معنى قول الناظم : فشفى اللعين النفس من حزب الرسول الخ . قوله : وبوده لو كان في أحد وقد شهد الوقيعة مع أبي سفيان . اي : ان النصير يود لو أنه شهد أحداً مع أبي سفيان قائد جيش قريش ، حتى يبلغ أربه ، ويقضي وطره من الرسول ﷺ وأصحابه ، وهذا نهاية العداوة للرسول وأصحابه وحزبه . نعوذ بالله من الخذلان .

قال الناظم رحمه الله :

وشواهد الاحداث ظاهرة على ذا العالم المخلوق بالبرهـــان
وأدلة التوحيد تشهد كلها بحدوث كل ما سوى الرحمن
لو كان غير الله جل جلاله معه قديمـــاً كان رباً ثاني
إذ كان عن رب العلى مستغنياً فيكون حينئذ لنا ربـــان
والرب باستقلاله متوحد أفمكن أن يستقل اثنـان
لو كان ذاك تنافيا وتساقطا فاذا هما عدمـان ممتنعان

(١) في الاصل : أن

والقهر والتوحيد يشهد منهما كل لصاحبه هما عدلان

ولذلك اقترنا جميعاً في صفا ت الله فانظر ذاك في القرآن

فالواحد القهار حقاً ليس في الـ إمكان أن تحظى به ذاتان

أقول : شرع الناظم رحمه الله تعالى في سياق دليل التمانع المشهور بين المتكلمين . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في كتابه « شرح عقيدة الأصبهاني » : وهذا التوحيد يعني توحيدالربوبية ، لم يذهب الى نقيضه طائفة معروفةمن بني آدم ،ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال : إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال . قال : فان الثنوية من المجوس ، والمانوية القائلين بالأصلين : النور ، والظلمة ، وأن العالم صدر عنهما ، متفقون على أن النور خير من الظلمة ، وهو الاله المحمود عندهم ، وأن الظلمة شريرة مذمومة ، وهم متنازعون في الظلمة ، هل هي قديمة ؟ أو محدثة ؟ فلم يسووا بين ربين متماثلين وهم كفار ضلال ، وأما النصارى القائلون بالتثليث ، فانهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب يفضل بعضهم عن بعض ، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد ، ويقولون باسم الأب ، والابن ، وروح القدس ، اله واحد ، وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه ، وقولهم في الحلول أفسد منه ، ولهذا كانوا يكتمون قولهم عن كثير من أصحابهم ، فانهم إذا فهموه نفروا منه بفطرة عقولهم ، وهذا دأب كل مضل منحد في كل شريعة وملة يكتم الالحاد والضلال عن اكثر أتباعه ، لأن المقالات الفاسدة في الهيئات قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام ، ولهذا لا يكاد أحد من النصارى يعبر عن قولهم بمعنى معقول ، ولا يكاد

اثنين منهم يتفقان على قول واحد ، فانهم يقولون . هو واحد بالذات ، ثلاثة بالأقنوم ، والأقانيم تفسر تارة بالخواص ، وتارة بالصفات ، وتارة بالأشخاص ، ويقولون : ان الاقانيم هي أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس . وكلام النصارى على غاية من الفهاهة والبلادة ، وهم أمة ضالة تائهة حتى قال بعض الفضلاء : لو اجتمع عشرة من علماء النصارى لافترقوا عن أحد عشر مذهباً . والحاصل أنهم لا يقولون : خالق الخلق ثلاثة ، بل واحد بالذات ، والله اعلم . والمقصود هنا أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة ، تعبوا في بيان هذا المطلوب وتقريره ، ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل ، وزعم أنه يتلقى من السمع ، والمشهور عند النظار اثباته بدليل التمانع ، وهو دليل صحيح في نفسه ، وهو أنه لو كان للعالم صانعان متكافئان ، فعند اختلافهما ، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ، ويريد الآخر تسكينه ، أو يريد (أحدهما) احياءه ، ويريد الآخر اماتته ، فاما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون الهاً ، ولأن المانع من فعل أحدهما ، هو فعل الآخر ، فلو امتنع مرادهما ، لزم كون كل منهما مانعاً للآخر ، وذلك يستلزم كون كل منهما قادراً غير قادر ، لان كونه مانعاً يقتضي القدرة ، وكونه ممنوعاً يقتضي العجز ، وذلك تناقض ، واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان هذا هو الاله القادر ، والآخر عاجزاً لا يصلح للالهية ، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ لاعتقادهم أن

توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الالهية الذي بينه القرآن ، ودعت اليه الرسل ، وليس الامر كذلك . وقال في موضع آخر : وقد نقلنا أنه ليس في أهل الارض من أثبت للعالم خالقين متماثلين في الصفات والأفعال . بل هذا ممتنع لذاته ، وامتناعه ظاهر في العقول ، بخلاف مايظنه كثير من أهل الكلام والفلسفة ، نعم بعض أهل الضلال يزعم أن ثم خالقاً لبعض العالم ، كالثنوية في الظلمة ، وكالقدرية في أفعال الحيوان ، وكالفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك ، أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، فان من هؤلاء الفرق الضالة من يثبت أموراً محدثة بدون إحداث الله تعالى إياها ، فهم المشركون في بعض الربوبية ، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في إلهته شيئاً من هذا ، وأنها تنفعه وتضره بدون أن يخلق الله ذلك ، فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس ، بين القرآن بطلانه بقوله تعالى : (مااتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المؤمنون : ٩١ والموجود خلاف هذا ، فان العالم مرتبط بعضه ببعض ، ما من مخلوق الا وهو متصل بغيره من المخلوقات ، محتاج اليه ، فالحيوان الواحد والنبات الواحد من أصل ، وذلك الأصل من غيره ، وهلم جرا ، وهو أيضاً مفتقر الى الهواء والماء والتراب ، بل والى أنواع النباتات والحيوانات ، ومفتقر الى أثر الشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، وغير ذلك ، والفلك مرتبط بعضه ببعض ، والأفلاك مفتقرة بعضها الى بعض ، والعالم العلوي مفتقر الى العالم السفلي ، فلوقدر أن صانع الأرض غير صانع السماء ، وأنه مستغن عنه لايغير أحدهما مصنوع الآخر ، لزم من ذلك أن لا يكون مافي السماء مؤثراً في الارض ، فلا تؤثر الشمس والقمر في الارض ، وان يكون ما يصعد من الأدخنة ،

والأبخرة ، والأغبرة ، لايؤثر في نورالشمس والقمروالهواء، والواقع خلافه ، وتقرير هذا يطول . انتهى كلامه .

وقال الناظم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا إلا الله لفسدتا) الانبياء : ٢٢ الآية ، قال : فان قوام السموات والارض والخليقة بأن تأله الآله الحق ، فلو كان فيهما آلهة أخرى غير الله لم يكن إلهاً حقاً ، اذ الآله الحق لا شريك له ، ولاسمي له ، ولا مثل له ، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء مافيه صلاحها بتأله الآله الحق ، كما أنها لا توجد الا باسنادها الى الرب الواحد القهار ، ويستحيل أن تستند في وجودها الى ربين متكافئين ، فكذلك يستحيل أن تستند في تألهها الى آلهين متساويين . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والإتصال عنه

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل ... قلنا صدقتم وهو ذو إمكان

كتسلسل التأثير في مستقبل ... هل بين ذينك قط من فرقان

والله ما افترقا لدى عقل ولا ... نقل ولا نظر ولا برهان

في سلب إمكان ولا في ضده ... هذي العقول ونحن ذو أذهان

فليأت بالفرقان من هو فارق ... فرقا يبين لصالح الأذهان

وكذاك سوى الجهم بينهما كذا العلاف في الانكار والبطلان
ولأجل ذا حكما بحكم باطل قطعاً على الجنات والنيران
فالجهم أفنى الذات والعلاف للحركات أفنى قاله الثوران
وأبو علي وابنه والأشعري وبعده ابن الطيب الرباني
وجميع أرباب الكلام الباطل المذموم عند أئمة الايمان
فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل حق وفي أزل بلا إمكان
قالوا لأجل تناقض الازلي والـ احداث ماهذان يجتمعان
لكن دوام الفعل في مستقبل مافيه محذور من النكران
فانظر الى التلبيس في ذا الفرق تر ويجا على العوران والعميان
ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو أزل لذي ذهن ولا اعيان
بل كل فرد فهو مسبوق بفر د قبله ابداً بلا حسبان
ونظير هذا كل فرد فهو ملحوق بفرد بعده حكمان
النوع والآحاد مسبوق وملحوق وكل فهو منها فان
والنوع لا يفنى أخيراً فهو لا يفنى كذلك اولاً ببيان
وتعاقب الآنات أمر ثابت في الذهن وهو كذاك في الأعيان

أما تعريف التسلسل ، فهو ترتيب أمور غير متناهية . واعلم أن التسلسل نوعان : تسلسل في المؤثرين ، وتسلسل في الآثار ، فاما الأول فهو

محال باتفاق العقلاء ، وأما الثاني ، ففيه قولان للنظـار وغيرهم ، وجوازه قول الأثير الأبهري ، والأرموي. فقول الناظم: فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل أي : إن زعمتم أن القول بدوام فاعلية الرب تعـالى تسلل ، قلنا : نعم ، وذلك صحيح ، كما جوز ارباب الكلام ، كالأشعري ، وابن البـاقلاني ، وغيرهما من الصفاتية القول بذلك في الأبد والمستقبل ، وكذلك أئمة المعتزلة كأبي علي ، وابنه أبي هاشم ، وغيرهـا من المعتزلة ، جوزوا ذلك في الأبد ، فألزمهم الناظم القول بجواز التسلسل في الازل كما جوزوه في الأبد، وأما الجهمية، وأبو الهذيل العلاف، فقالوا بامتناع التسلسل في الطرفين: الأزل، والأبد ، لأنهم قالوا : إذا قلنا : كل خلق قبله لا إلى غاية ، وكل خلق بعده لا إلى نهاية ، لزمنا القول بعدم العالم ، وانما قال الجميع بذلك لئلا يبطل عليهم دليل الأكوان الذي استدلوا به على حدوث العالم ، لأن مبناه على امتناع التسلسل ، وسيرد الناظم عليهم هذا القول فيما يأتي . والاشعري : هو أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة ابن أبي موسي عبد الله بن قيس الاشعري ، قدم بغداد ، أخذ الفقه عن زكريا بن يحيى الساجي ، وتفقه بابن سريج ، وقد كان معتزلياً ، فتاب بالبصرة فوق المنبر ، وأظهر فضائحهم وقبائحهم ، وذكر له من التصانيف «الموجز» وغيره ، وحكي عن ابن حزم أنه صنف خمسة وخمسين تصنيفاً ، وذكر أن دخله في كل سنة كان سبعة عشر درهماً ، وأنه كان من اكثر الناس دعابة ، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين . وقيل : سنة ٢٦٠ ستين ومائتين ، ومـات سنة ٣٢٤ أربع وعشرين وثلاثمائة . وقيل : ٣٠[1] سنة . وقيل: سنة بضع وثلاثين ، والله أعلم .

---

(١) أي ثلاثين ومائتين .

قلت : وللحافظ ابن عساكر كتاب « تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري » مجلد .

وابن الطيب هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقـــلاني القاضي ، رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومن اكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام . يقال : إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره ، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة ، منها كتاب « التبصرة » و « دقائق الحقائق » و « التمهيد » في أصول الفقه و « وشرح الابانة » وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار، ومن أحسنها كتاب الرد على الباطنيـــة الذي سماه « كشف الأسرار وهتك الأستار » وقد اختلفوا في مذهبـــه على الفروع . فقيل : شافعي . وقيل مالكي ، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي . وقد قيل : إنه كان يكتب على الفتاوى ، كتبه محمد بن الطيب الحنبلي ، وقد كان في غاية الذكاء والفطنة ، مات في الحجة سنة ٤٠٣ ثلاث واربعمائة .

وأبو علي : هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن ابي السكن الجبائي ، ولد سنة ٢٣٥ خمس وثلاثين ومائتين ، وهو من معتزلة البصرة ، وهو الذي ذلل الكلام وسهله ، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة في زمانه ، لا يدافعه أحد عن ذلك ، أخذ عن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وتوفي سنة ٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة ، فدفن بـ(جبى)[1] وله خمس وسبعون مصنفاً.

وابنه أبو هاشم : وهو عبد السلام ابن أبي علي الجبائي ، قدم بغداد سنة ٣١٤ أربع عشرة وثلاثمائة ، وتوفي سنة ٣٢١ احدى وعشرين وثلاثمائة ، وكان

(١) قرية من قرى بصرى .

ذكياً ، حسن الفهم ، ثاقب الفطنة ، صانعاً للكلام ، مقتدراً عليه ، قيماً به ، له مصنفات .

قال النّاظم رحمه الله تعالى :

فـــاذا أبيتم ذا وقلتم أول الأانات مفتتح بلا نكران
ما كان ذاك الآن مسبوقاً يرىٰ الا بسلب وجوده الحقان
فيقال ما تعنون بالأنات هل تعنون مدة هذه الازمان
من حين إحداث السموات العلى والأرض والأفلاك والقمران
ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن من قبلها شيء من الاكوان
هل جاءكم في ذاك من أثر ومن نص ومن نظر ومن برهان
هذا الكتاب وهذه الآثار والـــمعقول في الفطرات والاذهان
إنا نحاكمكم الى ما شئتم منها فحكم الحق في تبيان
أوليس خلق الكون في الايام كا ن وذاك مأخوذ من القرآن
أو ليس ذلكم الزمان بمدة لحدوث شيء وهو عين زمان
فحقيقة الأزمان نسبة حادث لسواه تلك حقيقة الازمان
واذكر حديث السبق للتقدير والـــتوقيت قبل جميع ذي الاعيان
خمسين ألفاً من سنين عدها الـــــمختار سابقة لذي الاكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من قبل السنين بمدة وزمان

يقول الناظم رحمه الله تعالى : فاذا أبيتم ماذكرنا ، وقلتم : ان الأنات لها أول ، ولا يصير ذاك أولاً الا بسلب وجوده ، وإلا لم يكن أولاً ، فنقول : ماتعنون بالأنات ؟ هل تعنون مدة هذه الأزمان ؟ أي : من حين خلق الله السموات ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ؟ والأرض ، وأن عندكم لم يكن قبلها شيء من الأكوان ، أي : من المخلوقات ، فهل عندكم حجة على أنه ليس قبلها شيء ؟ فهاتوا برهانكم على ذاك من الأثر والنظر ، ونحن نحاكمكم الى ماشئتم من ذلك ، ويدل على أن قبلها مخلوقات ، أن الله أخبر في القرآن بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فتلك الأيام قبل وجود السموات والأرض ، والنجوم ، والجبال ، ويدل على ذلك حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء »[1] وهذا معنى هذه الأبيات التي ذكرها الناظم .

قوله : فحقيقة الأزمان نسبة حادث الخ . أي : أن نفس قدر الفعل هو المسمى بالزمان ، فان الزمان إذا قيل : انه مقدار حركة الشمس أو الفلك ، وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السموات ، وهو الدخان الذي هو البخار ، كما قال تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة . ـقالـ : وكان عرشه على الماء ». ورواه الترمذي بلفظ «قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارضين بخمسين ألف سنة » وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فصلت : ٩١ وهذا الدخان هو بخار الماء الذي كان حينئذ موجوداً ، كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين ، وكما عليه أهل الكتاب ، وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه الشمس وهذا الفلك ، فان هذا مما خلق في تلك الأيام ، بل تلك الأيام مقدرة بحركة أخرى ، وكذلك إذا شق الله هذه السموات ، وأقام القيامة ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) مريم : ٦٢ وقد جاءت الآثار عن النبي ﷺ بأنه تبارك وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة ، وأن أعلاهم منزلة من يرى الله تعالى كل يوم مرتين ، وليس في الجنة شمس ، ولا قمر ، ولا هناك حركة فلك ، بل ذلك مقدر بحركات ، كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش . هذا تقرير كلام الناظم رحمه الله تعالى ، وقد اختلف الناس في حقيقة الزمان ، فقيل : هو جوهر ليس بجسم ولا جسماني . أي : ليس بجسم ، ولا داخل في الجسم ، فهو قائم بنفسه ، مجرد عن المادة . وقيل : فلك معدل النهار . وقيل : عرض . فقيل : حركة معدل النهار . وقيل : مقدار الحركة المذكورة ، ومنهم من عبر بحركة الفلك ومقدارها . وقيل : إنه مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم ، إزالة للابهام من الأول بمقارنته للثاني ، كما في : آتيك عند طلوع الشمس ، وهذا قول المتكلمين ، والأقوال قبله للحكماء . وفي « القاموس » الزمن محركة وكسحاب : العصر ، واسمان لقليل الوقت وكثيرة ، جمع أزمان ، وأزمنة وأزمن . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلى الهمذاني

والحق أن العرش قيل لانه ... قبل الكتابة كان ذا أركان

وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان

لما براه الله قال اكتب كذا ... فغدا بأمر الله ذا جريان

فجرى بما هو كائن ابداً الى ... يوم المعاد بقدرة الرحمن

أفكان رب العرش جل جلاله ... من قبل ذا عجز وذا نقصان

أم لم يزل ذا قدرة والفعل مقـــدور له أبداً وذو إمكان

قوله : والناس مختلفون الخ . قال شيخ الاسلام : قد ذكرنا أن للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين ، كما ذكر ذلك الحافظ أبو العلاء الهمذاني وغيره ، أحدهما : أن القلم خلق أولاً ، كما أطلق ذلك غير واحد ، وهذا هو الذي يفهم في الظاهر من كتب من صنف في الأوائل ، كابن أبي عروبة الحراني ، وأبي القاسم الطبراني ، للحديث الذي رواه أبو داود في « سننه » عن عبادة بن الصامت ؛ وفيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول . « أول ماخلق الله القلم ؛ فقال : اكتب » الحديث...[1] والثاني أن العرش خلق أولاً . قال الامام عـــثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في

---

(١) رواه ابو داود رقم (٤٧٠٠) ولفظه بتمامه: « ان اول ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب : قال: رب وماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» ثم قال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من مات على غير هذا فليس مني » .

« الرد على الجهمية[١] » حدثنا ابن كثير العبدي ، أنبأنا سفيان الثوري حدثنا أبو هاشم ، عن مجاهد عن ابن عباس قال : ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً ؛ فكان أول ماخلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن ، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ، وكذلك ذكر الحافظ البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ؛ لما ذكر بدء الخلق ؛ ثم ذكر حديث الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله تعالى : (وكان عرشه على الماء) هود : ٧ على أي شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

وروي حديث القاسم ابن أبي بردة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « أول شيء خلقه الله القلم ، وأمره فكتب كل شيء يكون» قال البيهقي : وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أول شيء خلقه بعد الماء ، والريح ، والعرش ، والقلم ، وذلك في حديث عمران بن حصين « ثم خلق السموات والأرض » أقول : حديث عمران بن حصين الذي أشار اليه ، هو مارواه البخاري من غير وجه مرفوعاً « كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض،و كتب في الذكر كل شيء »[٢] ورواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني

---

(١) وقد طبعناه قريباً .

(٢) رواه البخاري في « كتاب التوحيد » باب : « وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم . عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وجاء في كتاب « بدء الخلق» بلفظ:« كان الله ولم يكن شيء غيره » وفي رواية غير البخاري « ولم يكن شيء معه ».

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وقوله في بعض الكتب في هذا الحديث «كان الله ولا شيء معه ،وهو الآن على ما عليه كان » هي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث .

في « مسنده » وعثمان بن سعيد الدارمي ، وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم ، عن أبي اسحاق الفزاري ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، ثم كتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » وذكر أحاديث وآثاراً . ثم قال مامعناه : فثبت بالنصوص الصحيحة ، أن العرش خلق أولاً . قال ابن كثير : قال قائلون : خلق القلم أولاً . وهذا اختيار ابن جرير ، وابن الجوزي ، وغيرهما . قال ابن جرير : وبعد القلم السحاب الرقيق ، وبعده العرش . واحتجوا بحديث عبادة . والذي عليه الجمهو أن العرش مخلوق قبل ذلك ، كما دل عليه الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » يعني حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص الذي تقدم[1] قالوا : وهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير ، وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش ، فثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به المقادير ، كما ذهب الى ذلك الجماهير ، وحملوا حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي ... أداهم لخلاف ذا التبيان

ولأي شيء لم يقولوا إنه ... سبحانه هو دائم الاحسان

فاعلم بأن القوم لما أسسوا ... أصل الكلام عموا عن القرآن

---

(١) ولفظه : « كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ـ قال ـ وكان عرشه على الماء » .

وعن الحديث ومقتضى المعقول بل ... عن فطرة الرحمن والبرهان

وبنوا قواعدهم عليه فقادهم ... قسراً إلى التعطيل والبهتان

نفي القيام لكل أمر حادث ... بالرب خوف تسلسل الاعيان

فيسد ذاك عليهم في زعمهم ... إثبات صانع هذه الاكوان

إذ أثبتوه بكون ذي الأجسام حا ... دثة فلا تنفك عن حدثان

فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن ... لحدوثها اذ ذاك من برهان

فلاجل ذا قالوا التسلسل باطل ... والجسم لايخلو عن الحدثان

فيصح حينئذ حدوث الجسم من ... هذا الدليل بواضح البرهان

هذي نهايات لأقدام الورى ... في ذا المقام الضيق الاعطان

فمن الذي يأتي بفتح بيّن ... ينجي الورى من غمرة الحيران

فالله يجزيه الذي هو أهله ... من جنة المأوى مع الرضوان

أي : ان سألت أيها الناظر في هذا الكتاب ، وقلت : لم لم يقل المتكلمون بدوام فاعلية الرب تعالى ، وقالوا بوجوب تراخي الأثر ؟ فاعلم أنهم لما أسسوا أصل الكلام ، عموا عن الكتاب والسنة ، وهو أنهم استدلوا على حدوث العالم بدليل الأعراض المشهور ، وأنهم استدلوا على حدوث الاجسام بحدوث الأعراض ، وأن العرض لايبقى زمانين ، والأعراض حادثة ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، فيلزم حدوث الجسم من هذا الدليل . قالوا : فلو قلنا بقيام أفعال الرب تعالى به ، لزم قيام الحوادث به

ولزم التسلسل . وهو عندهم ممتنع . قالوا : فاذا جوزنا قيام الأفعال بالرب سبحانه ، وأنه لم يزل يفعل شيأ بعد شيىء ، لزم قيام الحوادث به تعالى ، ولزم التسلسل ، وهذا معنى قوله :

فاذا تسلسلت الحوادث لم يكن ... لحدوثها إذ ذاك من برهان

فلهذا قالوا ببطلان التسلسل ، والتسلسل الباطل انما هو التسلسل في المؤثرين ، وأما التسلسل في الآثار ، فهو جائز .

وقول الناظم رحمه الله تعالى : نفي القيام[1] لكل أمر حادث بالرب . فيه تسامح ، لأن أفعال الرب الاختيارية ليست بحوادث ، وانما هي أفعال اختياريه ، تقوم به بمشيئته وقدرته .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

فاسمع إذاً وافهم فذاك معطل ... ومشبه وهداك ذو الغفران

هذا الدليل هو الذي أرداهم ... بل هدّ كل قواعد القرآن

وهو الدليل الباطل المردود عند أئمة التحقيق والعرفان

ما زال أمر الناس معتدلاً الى ... أن دار في الاوراق والاذهان

وتمكنت أجزاؤه بقلوبهم ... فأتت لوازمه الى الايمان

رفعت قواعده ونخت[2] أسه ... فهوى البناء وخر للأركان

---

(١) قلت ومعنى قيامها به سبحانه ، إنما هو قدرته عليها ، واعتراض الشارح على الناظم غير وجيه

(٢) في الاصل : ونحت . والتصحيح من مخطوطة المتن . (ابن مانع)

وجنوا على الاسلام كل جناية ... إذ سلطوا الاعداء بالعدوان

حملوا بأسلحة المحال فخانهم ... ذاك السلاح فما اشتفوا بطعان

وأتى العدو الى سلاحهم فقا ... تلهم به في غيبة الفرسان

يامحنة الاسلام والقرآن من ... جهد الصديق وبغي ذي طغيان

والله لولا الله ناصر دينه ... وكتابه بالحق والبرهان

لتخطفت أعداؤه أرواحنا ... ولقطعت منا عرى الايمان

أيكون حقاً ذا الدليل وما اهتدى ... خير القرون له محال ذان

وفقتم للحق اذ حرموه في ... أصل اليقين ومقعد العرفان

وهديتمونا للذي لم يهتدوا ... أبداً به واشدة الحرمان

ودخلتم للحق من باب وما ... دخلوه واعجباً لذا الخذلان

وسلكتم طرق الهدى والعلم دو ... ن القوم واعجباً لذا البهتان

وعرفتم الرحمن بالاجسام والـ ... أعراض والحركات والالوان[1]

وهم فما عرفوه منها بل من الـ ... آيات وهي فغير ذي برهان

الله أكبر أنتم أو هم على ... حق وفي غي وفي خسران

دع ذا أليس الله قد أبدى لنا ... حق الأدلة وهي في القرآن

متنوعات صرفت وتظاهرت ... في كل وجه فهي ذو أفنان

---

(١) في الاصل : الاكوان ، وهو خطأ ، والتصحيح من مخطوطة المتن .

معلومة للعقل أو مشهودة ... للحس أو في فطرة الرحمن

أسمعتمُ لدليلكم في بعضها ... خبراً او احسستم له ببيان

أيكون أصل الدين ما تم الهدى ... إلا به وبه قوى الايمان

وسواه ليس بموجب من لم يحط ... علماً به لم ينج من كفران

والله ثم رسوله قد بينا ... طرق الهدى في غاية التبيان

فلأي شيء أعرضا عنه ولم ... نسمعه في أثر ولا قرآن

لكن أتانا بعد خير قروننا ... فظهور أحداث من الشيطان

وعلى لسان الجهم جاء وحزبه ... من كل صاحب بدعة حيران

ولذلك اشتد النكير عليهمُ ... من سائر العلماء في البلدان

صاحوا بهم في كل قطر بل رموا ... في إثرهم بشواقب الشهبان

عرفوا الذي يفضي إليه قولهم ... ودليلهم بحقيقة العرفان

وأخو الجهالة في خفارة جهله ... والجهل قد ينجي من الكفران

أقول : قد تقدم الكلام في دليل الأكوان مبسوطاً في الفصل الذي أوله : وقضى بأن الله كان معطلاً. عن: شيخ الاسلام وغيره : ونحن نشير الى ذلك بعض الاشارة .

قال شيخ الاسلام في كتاب «العقل والنقل» في الكلام على اصول الدين بعد كلام سبق : وأما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل ، فليس ذلك من أصول الدين، وان أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة،

مثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الاعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها ، إما الاكوان ، وإما غيرها . وتقرير المقدمات التي يحتاج اليها هذا الدليل من إثبات الاعراض التي هي الصفات أولاً ، أو إثبات بعضها ، كالاكوان التي هي الحركة ، والسكون ، والاجتماع ، والافتراق واثبات حدوثها باثبات إبطال ظهورها بعد الكمون ، وابطال انتقالها من محل الى محل ، ثم اثبات امتناع خلو الجسم ، إما عن كل جنس من أجناس الأعراض باثبات أن الجسم قابل لها ، وان القابل للشيء لايخلو عنه وعن ضده ، وإما عن الأكوان وامتناع حوادث لا أول لها . رابعاً : وهو مبني على مقدمتين : احداهما أن الجسم لا يخلو عن الاعراض باثبات أن الجسم لايخلو عن الاعراض التي هي الصفات . والثانية : أن ما لايخلو عن الصفات التي هي الاعراض ، فهو محدث ، لأن الصفات التي هي الأعراض لاتكون الا محدثة ، وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض ، كالألوان ، وما لا يخلو عن جنس الحوادث ، فهو حادث ، لامتناع حوادث لاتتناهى ، فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها الى الاقرار بالخالق ، ونبوة أنبيائه ، ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام ، كالاشعري وغيره أنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولا سلف الأمة وأئمتها ، وذكروا أنها محرمة عندهم . بل المحققون على أنها طريقة باطلة ، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقاً ، ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه ، فأحد الأمرين لازم له ، اما أن يطلع على ضعفها ، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم فتتكافأ عنده الأدلة ، أو يرجح هذا تارة ، وهذا تارة ، كما هو حال طوائف منهم ، وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل ، كما

التزم جهم لأجلها فناء الجنة والنار ، والتزم لأجلها أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة ، والتزم قوم لأجلها كالاشعري وغيره أن الماء ، والهـــواء ، والتراب ، والنار ، له طعم ولون وريح ، ونحو ذلك ، والتزم قوم لأجلها وأجل غيرها أن جميع الاعراض كالطعم واللون وغيرهما لايجوز بقاؤها بحال ، لأنهم احتاجوا الى جـــواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الاستدلال على حدوث الاجسام بصفاتها ، فقالوا : صفات الأجسام أعراض أي : أنها تعرض فتزول ، بخلاف صفات الله ، فانها باقية ، وأما ما اعتمد عليه طائفة منهم ، من أن العرض لو بقي لم يمكن عدمه ، لأن عدمه ، إما أن يكون باحداث ضد ، أو بفوات شرط ، أو اختيار الفاعل ، وكل ذلك ممتنع ، فهذه العمدة لايختارها آخرون منهم ، بل يجوزون أن الفاعل المختار ، يعدم الموجود ، كما يحدث المعدوم ، ولايقولون : إن عدم الاجسام لايكون الا بقطع الأعراض عنها ، كما قاله أولئك ، ولا يخلق ضد هو الفناء لافي محل ، كما قاله من قاله من المعتزلة ، وأما جمهور عقلاء بني آدم ، فقالوا : هذه مخالفة للمعلوم بالحس ، والتزم طوائف من أهل الكلام ، من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي صفات الرب مطلقاً ، أو نفي بعضها ، لأن الدال عندهم على حـدوث هذه الاشياء هو قيام الصفات بها ، والدليل يجب طرده ، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به ، وهو أيضاً في غاية الفساد والضلال ، ولهـذا التزموا القول بخلق القرآن ، وانـكار رؤية الله في الآخرة ، وعلوه على عرشه ، الى امثال ذلك من اللوازم التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم ، فهذه داخلة فيما سماه هؤلاء : أصول الدين ، ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لعباده .

وقال[١] في كلامه على « حديث النزول »[٢] لما تكلم على هذه الطريقة :

أما قولكم : إن هذا الطريق هو الأصل في معرفة دين الاسلام ، ونبوة الرسل ، فهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فساده ، فانه من المعلوم لكل من علم حال الرسول وأصحابه ، وماجاء به من الايمان والقرآن ، أنه لم يدع الناس بهذه الطريقة أبداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم باحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ، والذي جاءبالايمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة،ولا سلكها منهم أحد،والذين علموا ان هذه طريقة مبتدعة حزبان : حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى الثغر ، والخطابي والحليمي ، والقاضي ابي يعلى ،وابن عقيل وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء . والثاني: قول من يقول: بل هذه الطريقة باطلة في نفسها ،ولهذا ذمها السلف ، وعدلوا عنها . وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد ابن حنبل ، واسحق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك بن أنس ، وابن الماجشون عبد العزيز . وغير هؤلاء من السلف . انتهى .

وقال الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر: الذي أقول : إنه اذا نظر الى إسلام أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن ابن عوف ،وسائر المهاجرين والأنصار ، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين

---

(١) أي : شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميه الحراني النمري الدمشقي رحمه الله تعالى .

(٢) وقد قنا قريباً بطبعه ، بعنوان « شرح حديث النزول » لشيخ الاسلام ابن تيميه .

الله أفواجاً ، علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين ، وأعلام النبوة ، ودلائل الرسائل، لا من قبل حركة وسكون، ولا من باب الكل والبعض ، ولا من باب كان ويكون ، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً ، وفي الجسم ونفيه ، والتشبيه ونفيه لازماً ، ما أضاعوه ، ولو أضاعوا الواجب لما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم ، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم ، ولو كان من علمهم مشهوراً ، ومن أخلاقهم معروفاً، لاستفاض عنهم وشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش اله يعبد ولا فوق السموات اله يصلى له ويسجد، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة .

والله كان وليس شيء غيره ... وبرى البرية وهي ذو حدثان

فسل المعطل هل يراها خارجاً ... عن ذاته أم فيه حلت ذان

لابد من إحداهما أو أنها ... هي عينه ما ثم موجودان

ما ثم مخلوق وخالقه وما ... شيء مغاير هذه الاعيان

لا بد من احدى ثلاث مالها ... من رابع خلو عن الروغان

ولذاك قال محقق القوم الذي ... رفع القواعد مدعي العرفان

هو عين هذا الكون ليس بغيره ... أنى وليس مباين الاكوان

كلا وليس مجانبا ايضاً لها ... فهو الوجود بعينه وعيان

ان لم يكن فوق الخلائق ربها ... فالقول هذا القول في الميزان

اذ ليس يعقل بعد إلا أنه ... قد حل فيها وهي كالابدان

والروح ذات الحق جل جلاله ... حلت بها كمقالة النصراني

فاحكم على من قال ليس بخارج ... عنها ولا فيها بحكم بيان

بخلافه الوحيين والاجماع والعقل الصريح وفطرة الرحمن

فعليه اوقع حد معدوم بلى ... حد المحال بغير ما فرقان

ياللعقول اذا نفيتم مخبراً ... ونقيض حد ذاك في امكان

ان كان نفي دخوله وخروجه ... لا يصدقان معاً لذى امكان

الا على عدم صريح نفيه ... متحقق ببديهة الانسان

أيصح في المعقول يا أهل النهى ... ذاتان لا بالغير قائمتان

ليست تباين منهما ذات لاخرى ... أو تحايثها فيجتمعان

قوله أو تحايثها قال في القاموس حيث كلمة دالة على المكان كحين في الزمان ويثلث آخره . انتهى .

ان كان في الدنيا محال فهو ذا ... فارجع الى المعقول والبرهان

فلئن زعمتم ان ذلك في الذي ... هو قابل من جسم أو جثمان

والرب ليس كذا فنفي دخوله وخروجه ما فيه من بطلان

فيقال هذا أولاً من قولكم دعوى مجردة بلا برهان

ذاك اصطلاح من فريق فارقوا الوحي المبين بحكمة اليونان

احتج الناظم رحمه الله تعالى على بطلان قول الجهمية النفاة لعلو الله سبحانه على خلقه بهذه الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فقال : والله كان وليس شيء غيره . يشير إلى الحديث الصحيح المرفوع : « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء »(١) يقول إذا كان الله تعالى في الأزل لم يكن معه غيره ، وخلق المخلوقات ، وهذا معنى قوله : وبرى البرية الخ . فسل المعطل هل خلقها خارجاً عن ذاته المقدسة ، أو خلقها في ذاته المقدسة ، تعالى عن ذلك ، أو هي عينه كما يقوله الوجودية ، لعنهم الله تعالى ، وهذه قسمة حاصرة ، لأن المخلوقات إما أن يكون خلقها في ذاته ، أو خارجاً عنها ، أو هي عينه ، ولا قسم غير هذه الثلاثة ، ولذلك قال الناظم : ولذاك قال محقق القوم الذي رفع القواعد ، يعني القائلين بوحدة الوجود ، فانهم قالوا : وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق ، ماثم غير ولا سوى البتة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ولهذا قال : إن لم يكن فوق الخلائق ربها الخ . أي : إن لم يكن الرب تعالى فوق خلقه ، فالقول هذا القول في الميزان ، أي : في العدل والقياس ، فانه إذا لم يكن تعالى مبايناً للاكوان ولا محايثاً لها داخلاً فيها ، لم يبق الا هذا القول ، إذ ليس يعقل إلا هذا ، وأن الروح ذات

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

الحق تعالى حلت بهذا العالم ، كما تقوله النصارى في عيسى عليه السلام .

قوله : فاحكم على من قال : ليس بخارج الخ . هذا الكلام لأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، حكاه عنه الامام أبو بكر ابن فورك في كتاب « المجرد » فيما جمعه من كلام ابن كلاب أنه قال : وأخرج من الخبر والنظر قول من قال : لا هو في العالم ، ولا خارجاً منه ، فنفاه نفياً مستوياً لأنه لو قيل له : صفه بالعدم لما قدر أن يقول أكثر من هذا ، ورد أخبار الله أيضاً ، وقال في ذلك مالا يجوّز في نص ولا معقول ، ثم قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من بريته أعلمهم بالأين ، واستصوب قول القائل : إنه في السماء ، وشهد له بالإيمان عند ذلك . وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين ويحيلون القول به ، قال : ولو كان خطأ لكان رسول الله ﷺ أحق بالانكار له ، وكان ينبغي أن يقول لها : لاتقولي ذلك فتوهمي أنه محدود ، وأنه في مكان دون مكان ، ولكن قولي : إنه في كل مكان ، لأنه هو الصواب دون ماقلت . كلا فقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وانه من الإيمان ، بل الامر الذي يجب به الإيمان لقائله ، ومن أجله شهد لها بالايمان حين قالته ، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك ، وشاهد له ، وقد غرس في نبيه الفطرة ، ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ، ولا أوكد ، لأنك لاتسأل أحداً من الناس عنه عربياً ولا عجمياً ، ولا مؤمناً ولا كافراً ، فتقول : أين ربك ، إلا قال : في السماء أفصح ، أو أومأ بيده ، أو أشار بطرفه إن كان لايفصح ولا يشير إلى غير ذلك ، وما رأينا أحداً إذا عن له دعاء إلا رافعاً يديه إلى السماء ، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون ، وهم يدعون

أنهم أفضل الناس كلهم ، فتاهت العقول ، وسقطت الاخبار ، واهتـــدى جهم وخمسون رجلًا معه ، نعوذ بالله من مضلات الفتن . انتهى كلامه .

قوله : ياللعقول إذا نفيتم مخـــبراً الخ بفتح اللام اسم منادى مجرور باللام، إذا استغيث اسم منادى وجب كون الحرف يا ، وكونها مذكورة، وغلب جره بلام واجبة الفتح ، كقول عمر رضي الله عنه : ياالله للمسلمين ، معنى كلام الناظم : إنكم نفيتم عنه تعالى النقيضين ، وهما لايجتمعان ولا يرتفعان ، فإذا كان تعالى عندكم لاداخل العالم ولاخارجه ، فهذا حد المعدوم، لأنه هو الذي لاداخل العالم ولاخارجه ، فهم وصفوا واجب الوجود تعالى بما يمتنـــع معه وجوده ، فضلًا عن وجوبه ، لأن المعدوم لا يوصف إلا إلا بما وصفوا به واجب الوجود تعالى . ثم قال الناظم : فلئن زعمتم أن ذلك في الذي هو قابل الخ . أي : أن هـذا إنما يتأتى في الأجسام التي تقبل أن توصف بذلك ، والرب تعالى ليس بجسم ، فوصفه بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، عير محذور ، فأجابهم الناظم بقوله : فيقال هذا أولاً من قولكم دعوى الخ.. هذه دعوى مجردة عن البرهان ، وإنما هي من اصطلاح فلاسفة اليونان .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والشيء يصدق نفيه عن قابل وسواه في معهود كل لسان

أنسيت نفي الظلم عنه وقولك الـــظلم المحال وليس ذا إمكان

ونسيت نفي النوم والسنة التي ليست لرب العرش في الإمكان

ونسيت نفي الطعم عنه وليس ذا مقبوله والنفي في القرآن

ونسيت نفي ولادة أو زوجة وهما على الرحمن ممتنعان

والله قد وصف الجماد بأنه ميت أصم وماله عينان

وكذا نفى عنه الشعور ونطقه والخلق نفياً واضح التبيان

هذا وليس لها قبول للذي ينفى ولا من جملة الحيوان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى ، أن الشيء يصدق نفيه عن قابل وغير قابل ، كما في قوله تعالى (لاتأخذه سنة ولا نوم) البقره : ٢٥٥ معناه أن الرب تعالى لايجوز عليه النوم والسنة ، كما نفى الطعم عنه سبحانه في قوله : (وهو يطعم ولا يطعم) الأنعام : ١٤ وكما في قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ وكما نفى سبحانه الظلم عن نفسه وهو عندكم محال في حق الرب ، وليس بممكن ، وقد تقدم معنى ذلك في قول الناظم : والظلم عندهم المحال لذاته الخ ، بما يغني عن الاعادة .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

ويقال أيضاً ثانياً لو صح هذا الشرط كان لما هما ضدان

لا في النقيضين اللذين كلاهما لا يثبتان وليس يرتفعان

يتوقف فهم كلام الناظم على معرفة النقيضين والضدين ، فالنقيضان هما اللذان لايجتمعان ولا يرتفعان ، كالحركة ، والسكون ، والضدان هما اللذان لايجتمعان وقد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض ، فمعنى كلام الناظم أن هذا الشرط لو صح وهو ان النفي لايصح إلا عن القابل ، لكان ذلك في الضدين ، لا في النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ويقال أيضاً نفيكم لقبوله لهما يزيل حقيقة الإمكان
بل ذا كنفي قيامه بالنفس أو بالغير في الفطرات والاذهان
فإذا المعطل قال إن قيامه بالنفس او بالغير ذو بطلان
إذ ليس يقبل واحداً من ذينك الـ ـأمرين إلا وهو ذو إمكان
جسم يقوم بنفسه أيضاً كذا عرض يقوم بغيره أخوان
في حكم إمكان وليس بواجب ما كان فيه حقيقة الإمكان

أي إذا نفيتم قبوله سبحانه لأن يكون داخل العالم أو خارجه ، فهذا كنفي قيامه بالنفس او بالغير ، فاذا قال المعطل : إن قيامه بنفسه او بغيره باطل ، فعلى هذا يستحيل وجوده تعالى وتقدس . ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع ، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع ، لأنه قد يقال : إن جميع الممتنعات ترجع الى الجمع بين النقيضين .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق »[1] هذه الحجة العقلية ، وهي الاحتجاج بكون الرب تعالى قائماً بنفسه على كونه مبايناً للعالم ، وذلك ملزوم بكونه فوقه عالياً عليه بالذات ، لما كانت حجة صحيحة لا يمكن مدافعتها ، وكانت مما ناظر بها الكرامية لأبي اسحق الاسفراييني ، فر أبو اسحاق الى كون الرب قائماً بنفسه بالمعنى المعقول ، وقال : لانسلم أنه قائم بنفسه ، إلا بمعنى أنه غني عن المحل ، فجعل قيامه بنفسه وصفاً عدمياً لا ثبوتياً ،

---

(١) هو « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة »

وهذا لازم لسائر المعطلة النفاة لعلوه . ومن المعلوم أن كون الشيء قائماً بنفسه أبلغ من كونه قائماً بغيره ، وإذا كان قيام العرض بغيره يمتنع ان يكون عدمياً بل وجودياً ، فقيام الشيء بنفسه إحق ان لايكون أمراً عدمياً بل وجودياً ، وإذا كان قيام المخلوق بنفسه صفة كمال ، وهو مفتقر بالذات الى غيره ، فقيام الغني بذاته بنفسه أحق وأولى . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فكلا كما ينفي الاله حقيقة وكلا كما في نفيه سيان

ما ذا يرد عليه من هو مثله في النفي صرفاً إذ هما عدلان

والفرق ليس بممكن لك بعدما ضاهيت هذا النفي في البطلان

فوزان هذا النفي ما قد قلته حرفاً بحرف أنتما صنوان

والخصم يزعم أن ماهو قابل لكليهما فكقابل لمكان

فافرق لنا فرقاً يبين مواقع الـ ـإثبات والتعطيل بالبرهان

أولا فأعط القوس باريها وخل الفشر عنك وكثرة الهذيان

قال الرضي في « شرح الكافية » قد يقدر نصب الياء في السعة أيضاً وذكر المثل ، فإن « باريها » مفعول أعط ، وهو ساكن الياء ، وهو في هذا تابع للزمخشري في « المفصل » . قال الميداني في أمثاله ؛ أي : استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه ، وينشد :

يابارياً القوس بريا لست تحسنها لاتفسدنها وأعط القوس باريها

قوله : فكلا كما ينفي الإله حقيقة الخ ؛ أي : ان المعطل إذا قال :

إن قيامه تعالى بنفسه او بغيره باطل[1] فقولكم : إنه تعالى لاداخل العالم ولا خارجه ، مثله في البطلان ، فكلاكما ينفي الاله حقيقة وكلاكما سواء في نفيه ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في سياق هذا الدليل على وجه آخر

وسل المعطل عن مسائل خمسة ... تردي قواعده من الاركان

قل للمعطل هل تقول إلهنا المـــعبود حقاً خارج الاذهـان

فإذا نفى هذا فذاك معطل ... للرب حقاً بالغ الكفران

وإذ أقر به فســـله ثانياً ... أتراه غير جميع ذي الاكوان

فاذا نفى هذا وقال بأنـــه ... هو عينها ما ها هنـا غيران

فقد ارتدى بالاتحاد مصرحا ... بالكفر جاحد ربه الرحمن

حاشا النصارى أن يكونوا مثله ... وهم الحمير وعابدو الصلبان

هم خصصوه بالمسيح وأمه ... وأولاء ما صانوه عن حيوان

وإذ أقر بأنـــه غير الورى ... عبد ومعبود سما شيئان

---

(١) في الاصل : باطلا ، والصواب الرفع على أنه خبر (أن)

فاسأله هل هذا الورى في ذاته أم ذاته فيه هنـــا أمران
فإذا أقر بواحد من ذينك الـ أمرين قيل حـــده النصراني
ويقول أهلاً بالذي هو مثلنا خشداشنا وحبيبنا الحقـان
وإذا نفى الأمرين فاسأله اذاً هل ذاته استغنت عن الاكوان
فلذاك قام بنفسه أم قـام بالـ أعيان كالأعراض والألوان[1]
فاذا أقر وقال بل هو قائم بالنفس فاسأله وقل ذا تان؟
بالنفس قائمتان أخبرني هما مثلان أو ضدان أو غيران؟
وعلى التقادير الثلاث فإنـه لولا التباين لم يكن شيئان
ضدين أو مثلين أو غيرين كا نابل هما لا شـك متحدان
فلذاك قلنا إنكم باب لمن بالاتحـاد يقول بل بابان
نقطتم لهمُ وهم خطوا على نقط لكم كمعلمّ الصبيان

حاصل هذه الأبيات هو أن الناظم يقول : سل المعطل عن خمس مسائل : الاولى : هل تقول : إن الله تعالى خارج الأذهان ، فان نفى ذلك فقد كفر حقاً بلا شك . والثانية : سله إن أقر بذلك عن المسألة الثانية ، وهو أنه ، هل هو الأكوان او غيرها ؟ فإنه لابد ان يقول : هو الأكوان او غيرها ، فاذا قال : هو عين الأكوان فقد قال بالاتحاد ، وهو أكفر قول وأشنع مذهب ، بل القائل بذلك أكفر من النصارى ، لأن النصارى خصصوه بالمسيح وأمه ، وهؤلاء عمموه بكل موجود ، ولهذا قال الناظم :

(١) في الاصل : الأكوان .

حاشا النصارى ان يكونوا مثله الخ . وإذا أقر المعطل بأنه غير الورى ، فسله ثالثاً : هل هذا الورى في ذاته ، او ذاته فيه ؟ فاذا أقر بواحد من هذين فقد قال بالحلول ، ولهذا قال الناظم :

فاذا أقر بواحد من ذينك الأمـــرين قبل خده النصراني

وقوله : خشداشنا . هذه كلمة تعظيم ، وهي غير عربية ، وإن نفى المعطل الأمرين ؛ أي : إن نفى ان ذاته حلت في الورى ، او حل الورى في ذاته ، فاسأله : هل ذاته تعالى استغنت عن الأكوان ولذلك قام بنفسه ، أم قـــام بالأعراض والألوان ؟ وإن أقر وقـــال : بل هو قائم بالنفس ، فاســـأله ، وقل : ذاتان قامتا بالنفس ؟ أخبرني : هل هما مثلان او ضدان او غيران ؟ الضدان : هما اللذان لايجتمعان ، وقـــد يرتفعان ، كالسواد ، والبياض . والمثلان : لايجتمعان ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبياض وبياض . والغيران : هما المختلفان . وقيل : هما الموجودان اللذان يمكن أن يفارق أحدهما الآخر بوجه . والخلافان : ما قام أحدهما مقام الآخر ، وسد مسده ، وعمل عمله . وقيل : هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة ، فهما لايجتمعان ، ويرتفعان ، لتساوي الحقيقة ، كبيـــاض وبياض ، كل موجودين غير متفقين في جميع صفات النفس ، والغيران نحو منهما ، والمثلان ضد لهما :

وقول الناظم :

وعلى التقـادير الثلاث فانه لولا التباين لم يكن شيئان

أي : لأن الموجودين ، إما ان يكونا ضدين ، او مثلين ، او غيرين ، وعلى جميع هذه التقادير ، فلابد من ثبوت شيئين ، ثم قال : فلذا قلنـا : إنكم باب لمن يقول بالاتحاد ، بل بابان ، نقطتم لهم ، وهم خطوا على نقط

لكم ؛ أي كما أن معلم الصبيان أولا ينقط لهم حروف الهجاء ، ثم يكتبها ؛ فكذلك أنتم ومن يقول بالاتحاد ، والله أعلم

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه

ولقد أتى في عشر أنواع من المنقول في فوقية الرحمن
مع مثلها أيضاً يزيد بواحد ها نحن نسردها بلا كتمان
منها استواء الرب فوق العرش في سبع أتت في محكم القرآن
وكذلك اطردت بلا لام ولو كانت بمعنى اللام في الأذهان
لأتت بها في موضع كي يحمل الباقي عليها بالبيان الثاني
ونظير ذا إضمارهم في موضع حملاً على المذكور في التبيان
لا يضمرون مع اطراد دون ذكر المضمر المحذوف دون بيان
بل في محل الحذف يكثر ذكره فإذا هم ألفوه ألف لسان
حذفوه تخفيفاً وإيجازاً فلا يخفى المراد به على الانسان
هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير باستولى لذي العرفان
قد أفردت بمصنف لإمام هذا الشأن بحر العالم الحراني

هذا هو الدليل الأول من أدلة علو الله سبحانه على عرشه .

قوله : في سبع أتت في محكم القرآن ، وهي قوله تعالى في سورة الأعراف (ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ وفي سورة يونس (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) يونس : ٣ وفي سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) الرعد : ٢ وفي سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن) الفرقان : ٥٩ وفي طه (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وفي سورة السجدة (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) السجدة : ٤ وفي سورة الحديد (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) الحديد : ٤ الآية .

قوله: وكذلك اطردت بلا لام الخ ... أي : أن لفظة استوى اطردت بلا لام ؛ أي : بلا لام استولى ، فلو كانت بمعنى اللام ، لأتمت باللام في بعض المواضع ، كي يحمل الباقي عليها ، كما أنهم يضمرون في موضع ليحمل الباقي عليه في مواضع أخر ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى في « الصواعق المرسلة » في ابطال تفسير الاستواء بالاستيلاء: الوجه الرابع : أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء ، دون الاستيلاء، ولو كان معناه استولى، لكان استعماله في اكثر موارده كذلك ، فاذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى ، لأنه المألوف المعهود ، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد ، فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ، ففي غاية الفساد ، هذا ولم يكن

في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه ، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك ؟! انتهى .

قوله : هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير باستولى الخ ...أي : أن شيخ الاســـلام أفرد مصنفاً في تفسير قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأبطل تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً ، وزاد الناظم وجهاً ، فصارت إحدى وعشرين . وفي « الصواعق المرسلة رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين وجهاً .

قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

فصل

هذا وثانيها صريح علوه ... وله بحكم صريحه لفظان

لفظ العلي ولفظة الأعلى معر فـــة (أتتك هنا)[1] لقصد بيـان

إن العلو له بمطلقه على الـــتعميم والاطلاق بالبرهان

وله العلو من الوجوه جميعها ... ذاتا وقهراً مع علو الشاني

لكن نفاة علوه سلبوه إكما ... ل العلو فصار ذا نقصان

حاشاه من إفك النفاة وسلبهم ... فله الكمال المطلق الرباني

وعلوه فوق الخليقة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان

لا يستطيع معطل تبديلها ... أبداً وذلك سنة الرحمن

---

(١) ما بين القوسين ، زيادة لم تكن في الاصل ، ولا يستقيم الوزن بدونها .

كل إذا ما نابه أمر يرى متوجهاً بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه وأمامه أو جانب الإنسان
ونهاية الشبهات تشكيك وتخـــميش وتغيير على الإيمان
لا يستطيع تعارض المعلوم والـــمعقول عند بداية الأذهان
فمن المحال القدح في المعلوم بالشـــبهات هذا بيّن البطلان
واذا البداية قابلتها هذه الشـــبهات لم تحتج إلى بطلان
شتان بين مقالة أوصى بها بعض لبعض أول للثاني
ومقالة فطر الاله عباده حقاً عليها ما هما عدلان

هذا هو الدليل الثاني من أدلة علو الله على خلقه ، وحاصل كلام الناظم أن الله تعالى وصف نفسه بالعلو ، وأتى في ذلك لفظان : أحـدهما : لفظ العلي في قوله تعالى (وهو العلي العظيم) البقرة : ٢٥٥ والثاني : لفظ الأعلى كما في قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى : ١ وذلك لبيان أن العلو مطلقاً له سبحانه ، أي : علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر . وأما النفاة ، فلم يثبتوا له سبحانه إلا علو القدر ، وعلو القهر ، ونفوا علو الذات ، تعالى الله عما يقولون . وقد احتج الناظم عليهم بما فطر الله تعالى عليه الخليقـــة مسلمها وكافرها ، بل هو شيء فطر الله عليه الثقلين ، ولهذا ترى الخلق مجمعين على ذلك ، فترى من نابه أمر يتوجه نحو العلو ضرورة ، وقـــد تقدم ما أورده أبو جعفر الهمداني على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في ذلك ،

وأنه قال له : ياأستاذ ، أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ، ما قال قطعارف، يا الله: إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، أراد الشيخ أن إقرار الفطر بأن معبودها ومدعوها فوق، هو أمر ضروري عقلي فطري ، وأنت دليلك في نفي العلو نظري ، والنظري لا يعارض الضروري ، وذلك نحو ما يجيبون به عن هذا القصد الضروري ، مثل قولهم : إن السماء قبلة الدعاء ، ومثل معارضتهم ذلك بوضع الساجد جبهته على الأرض ، ونحو ذلك ، كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله : ونهاية الشبهات تشكيك وتخميش .

وقوله : وإذا البداية قابلتها هذه الشبهات ؛ أي : أن علو الرب سبحانه فوق خلقه أمر معلوم بالفطرة والبداهة ، فلا يعارض بالنظريات والشبهات ، فأما قولهم : إن السماء قبلة الدعاء ، فقول باطل لم يقله أحد من سلف الأمة ، ولا أنزل الله به من سلطان ، والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة ، وقد صرح العلماء بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة ، وقد استقبل النبي ﷺ الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة ، فمن قال : إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة ، فقد ابتدع في الدين ، وخالف جماعة المسلمين ، وأما ثانياً ، فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه ، كما نستقبل الكعبة في الصلاة ، وما حاذاه الإنسان بيديه أو رأسه مثلاً ، لا يسمى قبلة أصلاً ، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها ، ولم يثبت ذلك في شرع أصلاً ، وأما النقض بوضع الجبهة ، فما أفسده من نقض ! فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل ، لا أن يميل اليه ، إذ هو تحته ، بل هذا لا يخطر بقلب ساجد . وأيضاً فالساجد في نفس السجود يصرح بأن ربه هو الأعلى سبحانه وتعالى .

قال النّاظم رَحِمهُ الله تعالى :

فصل

هذا وثالثها صريح الفوق مصحوبا بمن وبدونها نوعان
إحداهما هو قابل التأويل والـ أصل الحقيقة وحدها ببيان
فإذا ادعى تأويل ذلك مدّع لم تقبل الدعوى بلا برهان
لكنما المجرور ليس بقابل الـتأويل في لغة وعرف لسان
وأصح لفائدة جليل قدرها تهديك للتحقيق والعرفان
إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدي المراد لمن له أذنان
أضحى كنص قاطع لا يقبل الـتأويل يعرف ذا أولو الأذهان
فسياقه الألفاظ مثل شواهد الـ أحوال إنهما لنا صنوان
إحداهما للعين مشهود بها لكنّ ذاك لمسمع الإنسان
فاذا أتى التأويل بعد سياقه تبدي المراد أتى على استهجان
وإذا أتى الكتمان بعد شواهد الـ أحوال كان كأقبح الكتمان
فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقت له ان كنت ذا عرفان
والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكوان

لكن نفاة الفوق ماوفوابه جحدوا كمال الفوق للديان

بل فسروه بأن قدر الله أعـــلى لا بفوق الذات للرحمن

قالوا وهذا مثل قول الناس في ذهب يرى من خالص العقيان

هو فوق جنس الفضة البيضاء لا بالذات بل في مقتضى الأثمان

والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكران

هذا الذي قالوا وفوق القهر والـــفوقية العليا على الأكوان

هذا هو الدليل الثالث من أدلة علو الله تعالى على خلقه ، وهو صريح الفوق، مصحوباً بـ(من) كما في قوله سبحانه (يخافون ربهم من فوقهم)النحل٥٠. وأتى صريح الفوق أيضاً غير مصحوب بـ(من). كقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده) الانعام : ١٨، ٦١ وذكر رحمه الله تعالى أن المجرور بـ(من) لا يقبل التأويل أصلاً، وأما غير المجرور بـ(من) فإن ادعى مدع تأويله لم يقبل منه، لأن الأصل الحقيقة، فلا تقبل دعوى المجاز بغير دليل، ولا دليل هناك، وهذا في غاية الظهور.

قوله : وأصح لفائدة جليل قدرها الخ مضمون هذه الفائدة قد ذكره الناظم في موضع آخر ، فقال : المجاز والتأويل لا يدخل في النصوص ، وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له ، وكون اللفظ نصاً يعرف بشيئين : أحدهما عدم احتماله لغير معناه وضعا. والثاني : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة في جميع موارده ، فانه نص في معناه ، لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً ، وإن قدر تطرق ذلك الى بعض أفراده ، وصار بمنزلة خبر التواتر ، لا يتطرق احتمال الكذب إليه ، وان تطرق الى كل واحد بمفرده ، وهذه قاعده نافعة تدل